وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مسار تاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

الموسومة بـ:

العامة في تونس الحفصية من القرن (7هـ-10هـ/13م-16م)

إعداد الطلبة:

❖حمايد مصطفى

❖خديم محمد أمين مداني

بـإشـــــــــراف:

الأستاذ:شعلال إسماعيل

لجنة المناقشة

د. خلاف محمد .....رئيسا

د. شعلال إسماعيل ..... مشرفا

د. صديقي محمد.....مناقشا

السنة الجامعية 2021م/ 2022م

السنة الهجرية 1442هـ/1443هـ

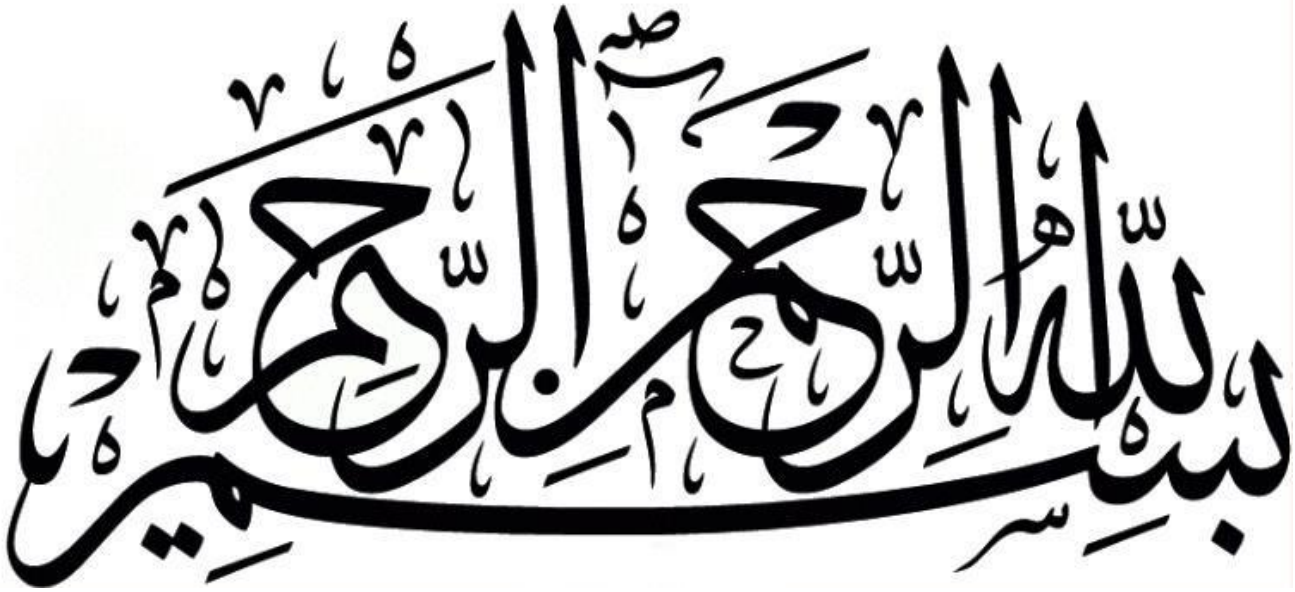
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

" الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و نستعين و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا و من يهده الله فهو المهتدى و من يظلل فلن تجد له وليا ولا نصيرا و أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له و أشهد ان محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين و من تبعهم الى يوم الدين.

نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا الدكتور " شعلال إسماعيل " شكرا وعرفانا على قبوله الاشراف على مذكرتنا وعلى ملاحظاته وتوجيهاته التي كانت نورا تسير على ضوئه خطواتنا.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث وتقييمه وإثراءه.

ولجميع الاساتذة الذين مهدو لنا طريق العمل فقد حان لنا الحظ للاطلاع على نبرة فكرهم وتجاربهم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

حمايد مصطفى محمد أمين المداني

إهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير، فلقد كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي (والدي الحبيب) أطال الله في عمره.

إلى من وضعتني على طريق الحياة وجعلتني ربط الجأش، وراعتني حتى صرت كبيراً (أمي الغالية) طيب الله ثراها.

إلى إخوتي، من كان لهم بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب، إلى جميع أساتذتي الكرام، ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي.

أهدي إليكم بحث تخرجي.

حمايد مصطفى محمد أمين المداني

قائمة المختصرات:

هـ	هجري
مج	مجلد
م	ميلادي
ع	عدد
ط	طبعة
ص	صفحة
د.م	دون مكان النشر
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ النشر
ج	جزء
تق	تقديم
تر	ترجمة
تح	تحقيق

المقدمة

مقدمة:

لقد كانت الدراسات التي درست التاريخ المتعلق بالحالة الاجتماعية للدولة الحفصية ، مهمة في موضوعها كونها تسلط الشعاع على مختلف المجالات التي عايشها المجتمع آنذاك والتي تكمل تلك الدراسات التي اخذت الجوانب والمواضيع ، السياسية والعسكرية ، وكل ما يتعلق بالطبقات الحاكمة وأفراد السلطة .

وكما كان الأمر له علاقة بالجانب الإجتماعي ، فإن ذلك يزداد تعقيدا وصعوبة ،فقد كانت الدراسات الإجتماعية ضئيلة جدا في هذا المجال ، على عكس تلك الدراسات المتعلقة بالتاريخ العسكري التي كان لها حظ كبير ، وبذلك فإن معظم البحوث قد تناولت الجانب السياسي المتعلق بالحكام والأمراء الذين أخذوا المرتبة الأولى في سلم المجتمع الحفصي ، كما أن المجتمع الحفصي قد ضم الكثير من الطبقات الأخرى ، وعلى سبيل المثال نأخذ فئة العامة التي هي من بين الفئات المهمشة التي لم تلقى الإهتمام الكبير من طرف الباحثين والمؤرخين رغم مكانتها الهامة ودورها الفعال في المجتمع والتي لا يمكن الإستغناء عنها ، ومن هذا المفهوم ركزت دراستنا على هذه الطبقة والتي كانت بعنوان (العامة في تونس الحفصية ما بين القرنين 7هـ الى غاية 10هـ).

وأما عن سبب اختيارنا لهذا الموضوع بالعنوان (العامة في تونس الحفصية)خلال الفترة الزمنية الممتدة من (القرنين 7 هـ الى 10 هـ) ، فنرجعها إلى عدة أسباب ذاتية ، وهي إهتمامنا بالبحث عن الفئات وجوانب المجتمع التونسي الحفصي ،والتي دفعتنا في الأساس لإختيار موضوعنا ، والذي حاولنا فيه إبراز قيمته العلمية تكمن أهمية الموضوع في توضيح مكانة الفئات المشكلة للعامة في المجتمع الحفصي وكذالك إكتشاف التحولات الكبرى التي عرفتها طبقة العامة ،

أما عن الأسباب اختيارناهذا البحث ، والتي ترجع إلى طبيعة موضوع العامة في تونس الحفصية ، والتي تعبر بشكل واضح عن المستوى المعيشي والاجتماعي للسكان في هذا المجتمع ، والتي تمكننا من التعرف على كيفية تعامل الافراد هذه الطبقة ، مع الحدث الاجتماعي الذي يعيشه في مراحل حياته بطريقة معينة ، والتي تعبر أيضا عن افكاره وطموحاته

إن موضوع العامة الذي يعتبر من أهم المواضيع في المجتمع الحفصي ، فدراسة هذه الفئة التي تعتبر من أهم طبقات المجتمع الحفصي، رغبة منا في معرفة هذه الطبقة وكذا معرفة أهم مميزاتها من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية ، ومحاولة منا رصد بعض تطورات أسلوب الحياة كما كان يتصوره أفراد الطبقة العامة ويعيشون مفهومه.

الفترة الزمنية التي تناولنا فيها هذا الموضوع تمتد من القرن 7هـ إلى غاية 10هـ ،أما المجال الجغرافي لموضوع بحثنا هو نفسه مجال الدولة الحفصية.

تكمن أهمية الموضوع في توضيح عدة اعتبارات أهمها : معرفة الفئات المكونة للعامة التي تعد من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الحفصي، وكذا تسليط الضوء على التحولات التي شهدها المجتمع الحفصي خاصة طبقة العامة التي تعد جزء لايتجزأ منه ، بالإضافة إلى دراسة الموضوع وإيجابياته.

بناءًا على ما تقدم ذكره حول خصوصية موضوع العامة ، ونظرا للمكانة الهامة لهذه الحقبة التاريخية المرتبطة بتاريخ الدولة التونسية في عهد الحفصية ، ومحاولة منا على انتهاج الطريقة الأكاديمية العلمية في تناول هذا الموضوع ، نجد أنفسنا أمام الاشكال التالي:

-كيف كانت الحياة اليومية للعامة في تونس الحفصية ؟ وما مدى تأثيرها على المنشآت؟

وللإجابة على هذا التساؤل كان من اللازم الانتقال عبر مجموعة من الأسئلة الفرعية والتي تسهل من عملية البحث و هي:

- ماذا نقصد بالعامة ؟ وعلى أي أساس تم تصنيفها؟

- ماهي العناصر المكونة للعامة التونسية في العهد الحفصي؟

-كيف كانت أحوال العامة خلال هذه الفترة ؟

- ماهي أهم الأدوار التي قامت بها العامة داخل المجتمع الحفصي ؟

ولقد إتبعنا في دراستنا خطة منهجية قمنا بوضعها بناءً على ما توفر لنا من مادة علمية كالاتي :
حيث قسمنا موضوع دراستنا إلى ثلاث فصول تتصدرها مقدمة ومدخل وفي نهايتها خاتمة.
تحدثنا في المدخل على الامتداد التاريخي والسياسي والجغرافي لتونس الحفصية من حيث مناقشة حدوده الجغرافية المتغيرة ،وإعطاء لمحة عن تأسيس الدولة .

وعالجنا في الفصل الأول تعريف العامة ومكوناتها الاجتماعية حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى التعريف بهذه الطبقة وأصنافها ومعاييرها أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى معرفة مكونات الاجتماعية للعامة في المجتمع الحفصي وتتضمن المكونات المحلية والأجنبية.

في حين تناولنا في الفصل الثاني الأوضاع الاجتماعية للعامة في تونس الحفصية والذي تتضمن مبحثين ، الاول كان بعنوان المظاهر الاجتماعية للعامة في تونس الحفصية، وفي الثاني كان بعنوان الآفات الاجتماعية وردود فعل العامة أثناء المجاعة ،أما الفصل الثالث هو اخر الفصول وكان بعنوان دور المنشآت في النشاط الثقافي والاجتماعي للعامة و قد قسمناه إلى مبحثين ، الاول بعنوان الممارسات الدينية و الثقافية اما الثاني كان بعنوان المنشآت الاجتماعية والاقتصادية.

إستخدمنا في هذه الدراسة المنهج المتعلق بالبحوث التاريخية ،وعلى رأسها :
المنهج التاريخي والذي يناسب موضوع بحثنا وذلك لما يتيحه ولما يسمح به من جمع للمعطيات التاريخية المتفرقة التي من شأنها –إذا أحسن استعمالها–أن تقدم إضاءات على المادة العلمية للماضي ، وتم إستعماله من بداية الدراسة حتى نهايتها بإعتبار الموضوع يتطلب ذلك.

المنهج الوصفي القائم على تحصيل المادة العلمية وتصنيفها ، و المنهج التحليلي من خلال عرض ومقارنة الأفكار المتباينة والأقوال المتعددة والتنسيق فيما بينها.

لقد إستخدمنا في انجاز هذه الدراسة مجموعة أو عدد من المصادر والمراجع سنختصرها والتي نذكر نماذج منها فيما يلي هنا:

أولا: المصادر

1-كتب النوازل:

- المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب لأبي عباس أحمد بن الونشريسي (ت914هـ/1508م)حيث تضمن العديد من النوازل التي أفادتنا في جوانب عديدة من الموضوع مثل: المكونات الأجنبية و الأسواق والمعاملات التجارية .

2-مصادر في التاريخ العام

- كتاب البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (7هـ و8هـ/13م-14م) ويعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، وقد أفادنا كثيرا في معرفة تأسيس الدولة الحفصية .
- كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني : (ت810هـ) وجدنا في هذا المصدر مادة تاريخية مهمة عن تاريخ الدولة الموحدية والحفصية، فتنوعت أخباره من ثقافية وسياسية.

– كتاب تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية لأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي (ت 887هـ) ، هذا الكتاب لايقل اهمية عن باق الكتب التاريخية التي تعالج الفترة الموحدية و الحفصية، فهو يتناول أهم أحداث ويشير خلاله لوضعية بعض المدن التي خضعت للحكم الموحدي و الحفصي.

3– كتب الرحالة

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للإدريسي (ت560هـ/1066م) ، من المصادر المهمة فيما يتعلق بتاريخ المغرب والأندلس ، وقد اتسم بالدقة في وصفه للمدن والبلدان التي زارها .

– تاريخ وصف افريقيا : لحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، وقد أفادنا وأمدنا بجملة من المعلومات حول الأوضاع الإجتماعية للعامة في تونس الحفصية مثل التغذية واللباس والمسكن

ثانيا: المراجع

– تاريخ افريقيا في العهد الحفصي لروبار برنشفيك : والذي شمل التاريخ الحفصي سياسيا وحضاريا .

– المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي لمحمد حسن: تناول الحياة الاجتماعية لتونس الحفصيية وقد ساعدنا في الممارسات الدينية والأحوال الاجتماعية .

– المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي من اعداد مجموعة من الباحثين: قدم لنا بحث موجز عن ردود فعل العامة اثناء المجاعات.

الصعوبات :

ككل بحث علمي ، فقد واجهتنا في انجاز هذه الدراسة جملة من الصعوبات فمنها مايتعلق بطبيعة بعض المصادر والمراجع التي تركز على :

– تركيز معظم المصادر على تقديم المعلومات والنصوص التي تخص الناحية السياسية والعسكرية واهمال واغفال القضايا التي تخص الناحية الاجتماعية.

– كانت معظم المصادر والمراجع تتحدث عن العامة بصيغ استنتاجية لأنه حسبهم عبارة عن موضوع جزئي.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول في نهاية هذا العرض المتواضع، إن وفقنا فمن الله وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان.

المدخل:

الامتداد التاريخي والجغرافي لتونس الحفصية[1]:

1- أصل الحفصيين ونسبهم :

2-الظروف المساعدة على ظهور الحفصيين:

3- تأسيس الدولة الحفصية :

تعتبر الدولة الحفصية رابع دولة إسلامية في البلاد التونسية وقد دامت 347سنة هجرية وقد قام بتأسيسها أبو زكرياء يحي الحفصي بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي حيث تمكن من تأسيسها عندما كان واليا من قبل الدولة الموحدية [1] ،

وقد كانت الدولة تونسية بإقليمها الجغرافي ومجالها مسمات قديما بإفريقية ، وقد تأسست بها الحضارة القرطاجية ، يحدها من الجهة الشرقية إقليم طرابلس ، ومن الجهة الغربية إقليم قسنطينة ، أما من الجهة الجنوبية فنجد جبال الأطلس وإقليم الزاب وجزء من نوميديا وليبيا الشرقية ، ومن الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط[2].

أطلقت عدة تسميات على المنطقة التي أنشأت عليها الدولة الحفصية ، ففي القديم كان يطلق عليها إسم "ترشيش" ثم "إفريقية " ، أما في العصر الوسيط فإن المنطقة التي تطلق عليها في المصادر العربية إسم "إفريقية " تطابق البلاد التونسية حاليا[3].

1- أصل الحفصيين ونسبهم :

تنتمي الأسرة الحفصية إلى الشيخ أبي حفص عمر[4] الذي كان من أصحاب المهدي بن تومرت ، وتشير بعض المصادر التاريخية أن الإسم الحقيقي لهذا الشيخ هو " فاصكة بن ومزال " وأن المهدي بن تومرت هو الذي سماه ب"أبي حفص عمر" وأطلق عليه لقب "المبارك"[5].

وينتمي أبو حفص إلى قبيلة هنتانة[1] ، المصمودية وهي من أهم قبائل الموحدين ، وكان أبو حفص عمر زعيما لهنتانة ، حيث كان له دورا بارزا في خلافة عبد المؤمن بن علي بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة524هـ -1129م ، وقد توفي الشيخ أبو حفص عمر سنة 571هـ-1175م[2].

---

[1]-أحمد ابن عامر ، الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1974م ، ص17.

[2]-مارمول كاربخال ، إفريقيا ، تر: محمد حجي ، د ط ، دار المعرفة ، الرباط ، 1989م ، ج3 ، ص16.

[3]-روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1988م ، ج1 ، ص29.

[4]- ابن الشماع ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح: الطاهر ابن محمد المعموري ، الدار العربي للكتاب 1984، ص48 ، انظر : الملحق رقم (05)ص98.

[5]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، شرح صلاح الدين الهواري ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ص155-156.

2-الظروف المساعدة على ظهور الحفصيين:

كانت للظروف التي عاشتها إفريقية في الربع الأخير من القرن 6هـ دور كبير في ظهور الحفصيين ، اذ كانت القبائل العربية من بني هلال وسليم تثير الفتن والثورات[3]، بالإضافة إلى انتقال الصراع القائم بين المرابطين والموحدين من الأندلس إلى إفريقية ، وتعد ثورة بني غانية مظهرا من مظاهر هذا الصراع[4].

وما إن إعتلى الخليفة الموحدي محمد الناصر لدين الله الحكم بعد وفاة المنصور 595هـ-1198م حتى فوض أمر افريقية إلى وزيره وصهره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي ومنحه كل الصلاحيات لتسيير شؤون هذه الولاية [5] ، ولما إزداد عبث بني غانية في منطقة إفريقية منح الناصر الموحدي هذه المنطقة إلى أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص وذالك عام 603 هـ 1206 م، ويعتبر تنصيب ابن أبي حفص بداية انفصال إفريقية عن الدولة الموحدية في مراكش[6].

فقد تمتع أبي حفص بمكانة اجتماعية سامية في دولة الموحدين لسابقته في الجهاد و حسن إخلاصه للمهدي بن تومرت وتعاليمه ، وكان لأولاده من بعده هذه المكانة ، كما أكد أبي حفص على كفاءته وحسن ادارته لجميع الأعمال التي تولاها لدولة الموحدين بالمغرب الأقصى والأندلس فاستحق عن جدارة ما تبوأه من المقام السامي والإصطفاء بهذه الدولة [7].

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ضبط ومراجعة خليل شحادة ، سهيل زكار ، ج6 ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت 2000م ، ص360.

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص360.

[3]- أحمد القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح: علي الخاقاني ، بغداد ، مطبعة النجاح ، 1958، ص401.

[4]- محمد العروسي المطوي السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1986 ، ص 21.

[5]- عبد الله بن محمد التيجاني ، رحلة التيجاني ، تق: حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، 1378هـ/1985م، ص360.

[6]_ابن القنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية ، 1968م، 108.

[7]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص243.

3- تأسيس الدولة الحفصية :

يعتبر أبو زكرياء يحي الحفصي المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية بتونس ، فقد أخذ أبو زكرياء البيعة الأولى من أشياخ الموحدين في القيروان والتي سميت بالبيعة الخاصة ، ثم رحل بعدها نحو تونس فبويع فيها البيعة العامة يوم 24 رجب 625هـ /1227م، ويعود سبب الانفصال الانحلال والضعف وفساد أخلاق السلاطين والنزاع بين الأسرة الحاكمة في الدولة الموحدية ، إضافة إلى الأساليب التي قام بها الخليفة الموحدي إدريس المأمون في مراكش سنة 625هـ /1228م ، حيث قام بإعلان رفضه لتعاليم المهدي بن تومرت ونزع اسمه من الخطبة والسكة ، وقتل المعارضين لسياسته من أشياخ الموحدين ومعظمهم من هنتانة قبيلة الحفصيين.

ثار أبو زكرياء على المأمون ورفض مبايعته ، وبدأ يدعوا إلى منافسه على الخلافة يحي المعتصم ابن أخ المأمون ، لكنه سرعان ماخلعه عندما ثبت عجزه وضعفه ، وأعلن انفصاله التام عن الدولة الموحدية سنة 627هـ/1229م ولقب بالأمير وأصبح يذكر في خطب الجمعة بعد اسم المهدي بن تومرت منذ سنة 634هـ/1236م[1].

وبعد أن تم للأمير أبي زكرياء الاستقلال عن الدولة الموحدية شرع في رسم حدود دولته وتثبيت سلطانه وأخذ يسعى إلى ضم كامل المغرب تحت حكمه ، فوجه جهوده أولا نحو قسنطينة وذلك في سنة 626هـ /1228م والتي كانت لا تزال تحت حكم الموحدين فحاصرها أياما حتى أعلنت إستسلامها ودخولها في طاعته[2] ، وذلك بعد القبض على واليها ابن أبي عبد الله ابن يعقوب المنصور ثم زحف نحو بجاية فدخلها وأسر واليها أبي عمران ابن يعقوب المنصور شقيق والي قسنطينة السابق ، وولى على المدينتين حكاما من قبله[3].

1- عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 335-336-337.

2- عبد الحميد حاجيات ،عنابة في العهد الحفصي ، مجلة الأصالة ، العدد34-35، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، 1975م، ص77 .

3- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تح: محمد ابن تاويت وآخرون ، قسم الموحدين ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1985م ، ص 293-294.

وبفتح المدينتين سنة 626هـ/1228م توجه إلى مطاردة ابن غانية هذا الاخير الذي انهزم في العديد من المعارك منها طرابلس و الزاب[1]، وحرصا من أبي زكرياء لعدم دخول ابن غانية إلى افريقية جهز جيشا لمنعه من دخولها وزعزعة أمنها ، وظل ابن غانية متشردا حتى مات سنة 631هـ/1234م ، وقد انتهت بموته حركة استمرت خمسة عقود ، عجزت فيها الدولة الموحدية رغم قوتها في القضاء عليها ونجح الحفصيون في ذلك .

وما أن تم فتح تلمسان حتى خضعت بقية بلاد المغرب إلى طاعته ، حيث بعث إليه أهالي طنجة وسبتة بالمبايعة سنة 640هـ /1243م كما وصلت بيعة سجلماسة في نفس العام[2] ،وبداية من سنة 641هـ /1244م بايعته بقية أهل الأندلس[3].

وهكذا فقد ترك أبو زكرياء الدولة الحفصية دولة قوية موطدة الأركان ، حيث يعد عصره من أزهى عصور تونس[4] ، ويعد الأمير أبو زكرياء من أبرز حكام القرن 7هـ بعد أن إستطاع بفضل سياسته من نشر الأمن و النظام في ربوع دولته[5]، وأحسن اختيار رجالها فطال عمرها وذاع صيتها ، توفي سنة 647هـ /1250م[6].

[1]– الزاب : وهي بلاد واسعة كبيرة تقع على طرف الصحراء بالمغرب الأوسط فيها مدن كثيرة وقاعدتها مدينة طبنة ، أنظر : مجهول الاسبصار في عجائب الأمصار ، تح: سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، 1989م ،ص170.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص337-349.

[3]– محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ،تح : احسان عباس ، ط1، مكتبة لبنان بيروت ، 1975م ، ج4 ، ص392.

[4]–عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ،شركة دار الأئمة للطباعة والنشر والتويع ، الجزائر 2009، ص 43.

[5]–محمد عبد الله عنان ،عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج2 ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1964م ص534.

[6]– ابن الشماع ، المصدر السابق ، ص60.

الفصل الأول:
العامة ومكوناتها في تونس الحفصية

I. المبحث الاول: العامة ومعاييرها في تونس الحفصية

1. المطلب الأول: تعريف العامة

أ. العامة في المعاجم اللغوية

ب. العامة في الخطاب القرآني

2. المطلب الثاني :معايير العامة وأصنافها

أ. المعايير

ب. أصناف العامة العامة:

II. المبحث الثاني: الفئات السكانية للعامة التونسية:

1.المطلب الأول: فئة العرب والبربر:

أ. القبائل العربية:

ب. فئة البربر:

2. المطلب الثاني: مكونات الأجنبية للعامة التونسية

أ. اهل الذمة

أ-1 اليهود

أ-2 النصارى

أ-3 العبيد

I. المبحث الأول: العامة ومعاييرها في تونس الحفصية

1. المطلب الأول: تعريف العامة

العامة: العمم ، إسم للجميع و العامة عكس الخاصة، وقد كانوا من أصحاب السواد الأعظم، وقد تم إطلاق عليهم عدة أسماء وصفات كثيرة مثل :(السواد ، الغوغاء ، الدهماء ، الرعاع ، الحرافيش ، العيارون ، الشطار ، السفهاء ، الأشرار ، الأوباش) ، وهي عبارة عن فئات شعبية وأصناف مختلفة حرمت من الثراء ، وليس لها جاه ولا نفوذ وقد تم وصفهم بذوي الحاجة والمسكنة ، وهم بذلك أدنى درجات في مستوى طبقات المجتمع[1] ، تتكون هذه الطبقة من بعض العرب والبربر والبربر المستعربين ، والعبيد بكل أنواعهم وكذلك الحرفيين والصناع وصغار التجار والبائعين والحمالين والصيادين والرقيق والفلاحين والخدم من الإماء والدباغين والباعة الجائلين ، وبعض من أهل الذمة كالنصارى واليهود إلى جانب عناصر أخرى مختلفة من الجند ، وبذلك فقد تم وصفهم بألفاظ مزدرية وسيئة ، تضعهم في مقام المهمشين من الفئات الرثة ، وترجع بعض التعريفات على تسميتهم بالعامة بسبب جهلهم بالأمور الدينية [2] ، وقد ترجع الصعوبة في تحديد أو ضبط المفهوم إلى إختلاف المصادر فيما بينها حول معايير تصنيف العامة[3].

أ. العامة في المعاجم اللغوية :

ويقصد بالعامة في معجم المعاني : عام ،عوام ، عموم ، العمم ، وهي خلاف الخاصة وترد كذلك على أنها المعبر الصغير الذي يكون في الأنهار ، ومن هذا المنطلق نجد أن العامة وسيلة تستعمل وقت الحاجة فقط[4].

1-محمد حسن، المدينة والبادية بافريقية في عهد الحفصي ج 1، اوربيس للطباعة وقصر السعيد جامعة تونس اولى 1999، ص 673.

[2]-أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج3 ،تح بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ص106.

[3]-احمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، 1988م، ص 44.

[4]- محمد إبن منظور ،لسان العرب ، ج12 ، دار صادر ، بيروت، لبنان، ص 423 .

لكن في الأساس نجدها طبقة ، لايمكن الإستغناء عنها وهي ركيزة أساسية لها دورها الفعال في المجتمع حتى وإن لقيت التهميش والتجاهل .

ب.العامة في الخطاب القرآني:

ونجد في ذلك قول ابن عباس حجة قوته لهذه العبارة حيث قال " إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي " [1]، فمن أهم الصفات التي يتميز بها الإنسان هي صفة النسيان وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في الكثير من المواقف. كقوله سبحانه وتعالى :{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}[2]

2. المطلب الثاني :معايير العامة وأصنافها:

أ. المعايير:

أ-1 المعيار العلمي:

حيث يبدو الجهل صفة ملازمة للعامة، فهم "أهل الجهالة" ، حسب ابن الحاج النميري، ولا قريحة لهم... لم لهم من الجهل والغفلة" ، حسب ابن عباد، بل إن احد المؤرخين يدرجهم بدون تردد في "عداد البهائم"[3].

أ-2 معيار السلطة والنفوذ:

ينضوي في صفوف العامة كل الأطراف التي لا سلطة لها في إتخاذ القرار، ولهذا تابعة للخاصة التي تمتلك واحدها سلطة الفعل، وغالبا ما يرد ذكر العامة مقترنا بالتشنجات أو الفتن التي يعرفها المجتمع

[1]-محمد إبن منظور، المصدر السابق ، ج6 ، ص 09،

[2]- سورة طه ، الاية 115.

[3]- مصطفى نشاط ، جوانب من تاريخ مشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط ، منشورات الزمن فضائل تاريخية ،2006 ، ص 42.

وملتصقا بأوصاف دونية، كالرعاع والدهماء والسفلة والأوباش والسوقة ... فهي فئة متطلعة يجب ترويضها لأنها مجبولة على الفتنة ومجبلة لها ، وهذه الصورة التحفيزية للعامة يمكن إلتقطها من مختلف المصادر ، بغض النضر عن جنسها وإقتناع أصحابها مما يدفع إلى التفكير في وجود وتضيف دوني شبه عام لدى الخاص عن العامة لاسيما ان الكتابة بمختلف أنواعها كانت حكرا على فئة الخاصة .

فإبن خلدون الذي كتب في التاريخ العام لايتردد في عدة مناسبات عن نعت العامة بالأوغاد أو "الغوغاء" ويتحدث إبن الحاج النميري والعبدري في رحلتيهما عن الأوباش "الهمج"، وإبن الخطيب في مقامته عن السفلة والدهماء ، ويتحدث إبن الحاج العبدري في كتابه حول البدع عن "الجاهل"و"الغافل" بينما يستعمل إبن الأزرق في كتابه المدرج ضمن مؤلفات الأحكام السلطانية لفظة "الأوغاد "ويقال ابن السكاك في كتابه عن الشرفاء بين هؤلاء والرعاع[1].

أ-3 المعيار الاخلاقي :

تظهر العامة من خلال المصادر، بعيدة عن التأدب وسمو الأخلاق ، ولاتتقن أداء الأدوار البروتوكولية.

أ-4 المعيار المادي :

تمتهن العامة المهن الوضيعة والنتنة او المهن المتوسطة ولايتجاوز دخل أفرادها إشباع الحاجات الضرورية أو دونها ، وهي بذلك تعيش في شظف العيش وفي النكد ، يلخص ابن عباد هذه الوضعية في إنشغال العامة "بطلب المعاش من وجهه، يضمون الدرهم الى درهم والحبة الى الحبة ليصونوا بذلك وجوههم عن المسالة ويستدفعوا به الشدائد المعضلة[2].

[1]-مصطفى نشاط ، المرجع السابق ، ص 43.

[2]- مصطفى نشاط ، المرجع نفسه ، ص44.

وعلى عكس كل ذلك ، تبدو فئة الخاصة فئة متعلمة ومتبوئة لأسمى الوظائف، ذات نفوذ وسلطة وإخلاق رفيعة ،تعيش في رغد العيش وبحبوحته ،كما تحسن الأدوار "البروتوكولية".غير أنه إذا كان من الصعب ضبط معايير ثابتة للتمييز بين فئتي الخاصة والعامة ، فالذي لايجري الإختلاف حوله[1].

أ-أصناف العامة:

1- الفلاحون والمزارعون:

وعلى حساب تلك المصادر التاريخية التي تناولت العامة فأنها صنفت الفلاحين والمزارعين الذين ينتمون إلى طبقة العامة إلى ثلاث أصناف وهم:

2- المزارع المستأجر: وهو الذي يقوم بكراء أرض ليست ملكا له لمدة سنة أو اكثر ويلتزم بدفع الكراء لصاحبها.[2]

3- مزارع المشارك لصاحب الأرض: ويلقب بالخماس ويجب عليه عليه القيام بجميع الأعمال بما في ذلك خدمة الحيوانات الخاصة بصاحب الأرض[3].

4- المزارع الموسمي: ذلك الشخص الذي يعمل بالأجرة أيام الحرث والقطف والحصاد. وكان هؤلاء المزارعون يعملون في أراضي القبائل وقد كانت العامة تمثل أغلبية السكان، حيث لم تكن تعتمد في حياتها إلا على الزراعة ، وتميزت أيضا الأراضي في الدولة الحفصية بالخصوبة مما جعل العامة يعتمدون على تربية المواشي وذلك ساعدهم على الإستقرار بدل الترحال[4].

وكان العامة وخاصة منهم الفلاحون يعملون في ميدان الزراعي على حساب أنفسهم إذ كانت لهم الحرية الكاملة وحصول على إنتاجاتهم بشتى الطرق وأنهم لا يملكون حق بيع الأراضي لأنها تخضع مباشرة لسلطة الدولة.

---

[1]-علي أومليل، السلطة السياسية والسلطة العلمية، الغزالي ابن تومرت وابن رشد، ضمن ندوة "ابو حامد الغزالي "الرباط-1988،ص 28

[2]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية ج3 ،منشورات الحضارة ،ط1، الجزائر 2009، ص 33 .

[3]- مختار حساني، المرجع نفسه، ص 34

[4]-عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر وتوزيع ،الجزائر ،2009، ص216

ب–الصناع والحرفيون:

كانت طبقة العامة تحتوي على العديد من الصناع والحرفيون الذين كانوا متنوعين وكلا حسب عمله فتنوع الصناع إلى ثلاث أصناف ، وهم:

1– الصانع الخاص: وهو يمتلك دكان خاص به يمارس صنعته فيه ، يقوم بشراء المواد الأولية ويعيد صناعتها للزبائن.

2– الصانع المشترك: وكان عمله يتمثل في إستقبال الزبائن في دكانه أو متجره يصنع لهم حجاتهم مثلا أن زبون يأتي بالمادة الأولية ويطلب منه نسج ملحفة أو البرنوس...الخ[1]

3– الصانع المتجول: وعلى سبيل المثال صانع الأواني الحديدية ، يخرج إلى الأرياف ويصنع الأواني والآلات لسكانها ، وعلى الخصوص المناسج والمغازل والغرابيل وفي الأخير فإن العامة كانت تملك صناعات المتعددة ميزتها عن باقي الطبقات داخل المجتمع.

وقد تميزت العامة بصناعة المنسوجات التي وصلت شهرتها إلى أغلب أنحاء العالم الإسلامي على خصوص الكساء وأيضا بصناعة الأواني والأقمشة القطنية.

ج–التجار:

تكونت طبقة العامة من صغار التجار ومن أبرزهم نجد:

المجموعة الاولى:

تتكون طبقة العامة من التجار الصغائر الذين يشترون رأس مال ، حيث لا يتجاوز مائتي دينار، ويزاولون التجارة بمفردهم واغلب هؤلاء يكونون إما تجار مقيمين مستأجرين لدكاكين والمتاجر من كبار الملاك او من أحباس أو التجار المتجولين ، وقد كما بين المزوني مجموعة من النوازل المتعلقة بهذا ، وبين لنا بأنهم كانوا يخرجون الى القرى لبيع سلعهم[2].

[1]– مختار حساني، المرجع السابق، ص 84

[2]– مختار حساني، المرجع نفسه ، ص42.

المجموعة الثانية:

ويمكنها توظيف ما بين مائتي دينار وخمسة مائة وتختلف عن الأولى وبذلك تكون حركتها أوسع كالإنتقال من مدينة إلى إخرى ومن سوق لآخر[1].

المبحث الثاني: الفئات السكانية للعامة التونسية:

1.المطلب الأول: فئة العرب والبربر:

يعتبر في نظر أهالي شمال إفريقيا إن التمييز عن أصل عرقي مزدوج وأنه يعبر عن إختلاف جنسي ظل محسوسا عبر تقاليد عريقة ولكن من المؤكد أيضا كما أقيم الدليل على ذلك منذ عهد بعيد أن ذلك التقسيم المزعوم لسكان الشمال الإفريقي إلى "عرب" و"بربر" لا يرتكز في أغلب الأحيان على أي أساس تاريخي متين ولئن أمكن التأكيد على أن السكان هم أساسا من أصل بربري باعتبار إن تلك العبارة تعني أعقاب السكان الأصليين في العصر القديم، فإنه أصبح بالعكس من ذلك من الأمور الوهمية اعتبار العرب كأعقاب العائلات القادمة من الجزيرة العربية خلال قرون العصر الوسيط ،ذلك أن الأفواج الأولى من المهاجرين لا سيما من الحضريين والعسكريين، كانت قليلة العدد، بحيث لا تستطيع أن تكون في البلاد مجموعات عرقية هامة يمكن تميزها على الدوام.

كما أن غزوة بني هلال وبني سليم الكبرى من القرن الحادي عشر إلى قرن الثالث عشر التي غيرت المظهر الاجتماعي والسياسي في بلاد المغرب رأسا على عقب، لم تترك لنا إلا ما قل وندر، قبائل ذات نسب عربي خالص، رغم الظواهر المتمثلة في بعض التسميات التي بقيت ثابتة، فخلال القرون المتعاقبة، بفضل الاتصالات المثبتة التي حصلت بين الفروع "العربية" و"البربرية" حتى عندما كانت تطغى اللغة العربية ويبقى الاسم العربي للمجموعة رائجا رغم إختلاف الدم العربي بالدم الأصلي اختلاطا تاما[2].

ولا شك أن بعض الإمتزاجات الفردية قد حمت منذ ذلك التاريخ وأن بعض الفئات المستضعفة قد اندمجت في مجموعات تابعة للجنس الآخر، ولكن ليس البربر هم الذين اندمجوا دائما بهذا الشكل في

1-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص216 .

2- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص356.

صلب القبائل العربية[1]. ولكن في الجملة يمكن أن تعتبر تصنيف ابن خلدون ذا مدلول، ذلك أن القبائل العربية التي توغلت في بلاد المغرب من الجنوب الشرقي ودفع بعضها بعضا طوال قرنين أو أجلين حتى إلى السهول الأطلسية بالمغرب الأقصى، وقد انتشرت على وجه الخصوص في المناطق المنخفضة، ذلك أن البدو والرحل لا يحرصون كثيرا في العادة على الاستقرار في المناطق الجبلية التي يفضلون محاذاتها أو أحيانا عبورها من المجازات الأكثر ملائمة لحاجات إنتجاعهم الموسمي وهكذا فقد رأيناهم في إفريقيا ينتشرون في السهول الساحلية ،على الرغم من أن العناصر العربية قد استقر أغلبها منذ القرون الأولى من العهد الإسلامي ولكن بعدد أقل في "الممرات المتوسطة" الواقعة بين الجبال ولكن ما كان اذا ذلك مجرد احتلال استراتيجي وسلسلة من المخيمات. قد تحول فيما بعد بواسطة المدد الهلالي، إلى استيطان جديد طغى على السكان الأهليين في المناطق المفتوحة وأجلى عددا كبيرا من القبائل البربرية الى مرتفعات الأعسر منالا[2].

ولكن لا ينبغي أن نظن أن البربر قد أزيحوا من سهول إفريقيا لو أن العرب ذلك الفتح الثاني وبالعكس من ذلك، لم يركزوا مساكنهم أبدا في الجبال. ذلك أن مثل هذا التصور المبسط، المفضي الى مطابقة العربي، ابتداء من القرن الثاني عشر أو الثالث عشر، لساكن السهل والبربري لساكن الجبل، قد لا يستجيب إلى واقع، فلا شك أن المراكز العمرانية في المناطق المنخفضة، ولاسيما منها السباسب قد تضررت كثيرا من الغزوة الهلالية وأن البوادي الأهلة بالسكان المستقرين أو إلتجأوا إلى المرتفعات، ولكن بعض القبائل الرعوية قد مكثت مع ذلك في المناطق المنخفضة الخاضعة للعرب وأصبحت مشغلة من طرفهم، كما أن بعض المزارعين المستقرين منذ عهد قديم، وبالعكس من ذلك فإن بعض الفروع ذات الأصل العربي قد إستقرت حتى في المناطق الجبلية، إما كأسياد مثل بني عياض في جبل الحضنة.

أ. القبائل العربية:

[1]– روبار برنشفيك ، المرجع السابق ص357.

[2]–روبار برنشفيك ، المرجع نفسه ، ص 358 ، انظر الملحق رقم:4، ص97.

إستقبلت بلاد المغرب خلال القرون الأولى للهجرة الثامن للميلاد الموجة الأولى من جيش الفتح وقام هؤلاء بنشر الإسلام في ربوعه وإرضاء المؤسسات الإدارية التي جعلت منهم أصحاب السلطتين الزمنية والروحية، فإستقروا بالرباطات والمراكز الحضارية التي استحدثوها كالقيروان وتونس وطيبة وفاس لاحقا بشكل كبير، في حين كان تواجدهم بالأرياف والبوادي بنسبة ضئيلة جدا مقارنة مع البربر[1].

أ-1 بنو هلال:

بنو هلال فجدهم الذي ينسبون اليه هو هلال بن عامر صعصعة بن معارية بن بكر بن هوتزن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر .

كانت مواطنهم في الجاهلية ببسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان، وكان يساكنهم فيها بنو نميز بن عامر، وبنو حشم، فلما جاء الإسلام .

وتوسع العرب في الفتوح انتقلوا جميعا إلى بادية الشام وسكنوا الجزيرة الفراتية، فكان بنو نميز بنواحي حران، وبنو هلال بناحية دمشق، واستمروا مقيمين هناك يتكسبون من فلح الأرض ورعى الماشية تارة، ومن الغزو وقطع الطريق أخرى، وكان خلفاء بني العباس يبعثون لهم البحوث تلو البعوث لزجرهم وكف عاديتهم عن المسافرين ولا سيما حجاج بيت الله الحرام[2].

ولما إستولى شيعة الفاطميين على الشام وإنتزعوه من أيدي القرامطة وأعادوهم إلى البحرين، نقلوا بني هلال هؤلاء إلى صعيد مصر وأنزلوهم بالعدوة الشرقية من نهر النيل، فأضروا بالبلاد وساموا أهلها الذل والهوان.

ومن المؤكد تاريخيا أن قبيلة من شعب هلال تدعى بني قوة كانت تسربت إلى المغرب قبل زحف جمهورهم عليه[3].

ولها في الحكاية عن دخولها إلى طرق في الخبر غريبة يكاد القادح فيها والتسريب أن يرمي عندها بالخلط والجنون، منها حكاية الجازية بنت سرحا الشهيرة مع شريف مكة شر بن أبي الفتوح التي عفت

1- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص357.

2- عبد الوهاب إبن منصور ، قبائل المغرب ،المطبعة الملكية ، الرباط ، ج1 ، 1968 ، 412.

3-عبد الوهاب إبن منصور ،المرجع نفسه ،ص 413 .

عن خبر عزة وكثيرا وليلى وقيس المجنون، وهي أصل قصة أبي زيد الهلالي الشهيرة، ونسرد لدى الكلام عن بني قرة، وقد استوطن بنو قرة هؤلاء أرض برقة بعدما تغلبوا على مقاومة قبائل بواتة ومزاتة وزناتة وكان لهم بها وبمصر تشعبات على الحاكم بأمر الله الفاطمي قتل منهم بسببها جماعتهم وأحرقهم بالنار لفسادهم ، ونبغ فيهم معلم القرآن يدعى أبا ركوة زعم أنه هشام من ذرية عبد الرحمن الداخل الأموي فبايعوه وألحقوا الهزائم بالجيوش الفاطمية تحت رايته إلى أن ظفر به وبهم سنة 397هـ وكان من أشرافهم عند دخولهم إلى المغرب الحسن بن سرحان أخو الجازية المومأ إليها وأخوه بدر، وفضل بن ناهض.

أ-2 شعوب بني هلال:

ويشمل عن الشعب على عدد كبير من القبائل، بعضها ينتمي إليه حقيقة النسب وبعضها نسبة في غيره ولكنه محسوب منه ومضاف إليه ومنهم.

- **الاثبح**: أبوهم الأثبح أبي ربيعة بن نهيك بن هلال كانوا أوفر عددا من غيرهم.
- **جشم**: أبو هذا الشعب هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان وإندمجت فيهم قبائل أخرى من الأنيح كبني قرة والمقدم والعاصم فعموا منهم وغلب جشم عليهم جميعا.
- **الرياح**: هو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر كان هذا الشعب من أعز شعب قبائل بني هلال نفرا وأوفرهم جمعا عند دخولهم إلى بلاد المغرب وكانت رئاستهم على عهد الزحف المؤنس بن يحي الصنبري الذي أصهر اليه المعز بن باديس ببنته، ثم كان من أشد العرب نكاية وأكثرهم ضررا أثناء حصار القيروان.
- **زغبة**: كانت لهم كثرة وعزة عند دخولهم الى المغرب وتغلبوا في الأول على نواحي طرابلس وقابس وقتلوا السعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس ولم يزالوا مقيمين هناك إلى أن ملك الموحدون إفريقيا وثار بنو غانية الموسوفيون بها فتحيزت زغبة ألى الموحدين وفرعوا بهم ذلك وصيروهم يدا واحدة[1].
- **المعقل**: نسب هذا الشعب من العرب الداخلين الى المغرب خفى المجهول عند الجمهور، ويعدهم نياب العرب من بطون هلال وليس ذلك بصحيح، أما هم فيدعون أنهم من آل البيت من

[1]-عبد الوهاب إبن منصور ، المرجع السابق ، س413-417-421.

ذرية جعفر بن أبي طالب، وهو ادعاء غير مسلم به لأن الطالبيين والهاشميين أهل إقامة وحضر وليسوا أهل بادية وانتجاع، ورجع إبن خلدون أن يكونوا يمنيين، لأن من هؤلاء بطنين يسمى كل واحد منهما بالمعقل على ما ذكره ابن وغيره، احدهما من قضاعة والآخر من مذحج، والغالب أنهم من هذا البطن الأخير.

وقد كان عرب المعقل يسكنون قرب البحرين مع القرامطة فبل دخولهم المغرب، ولما دخلوه لم يكن عددهم يتجاوز المئتين، فاعترضهم بنو سليم فتحيزوا إلى الهلاليين ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي وأدى ملوية ورمال و نموا فيها نموا كبيرا وممن إنضاف إليهم من القبائل من غير نسبهم مثل العمود وأشجع والشظة والمهايا والشعراء والصباح وبني سليم ، فملكوا القصور التي إختطتها زناته وفرضوا الضرائب على حراطينها وصارت يدهم الطولى بجميع الأقطار الصحراوية الواقعة بين المحيط الأطلسي وتيديلكت.

وقد اشتهر عرب المعقل هؤلاء بإحترام الأنفس والأموال والامتثال للأوامر المخزن (الحكومة) فلم يكونوا ينتهكون حرمة الناس ولا يعترضون القوافل التجارية بأذى أو مكروه، الشيء الذي جعل سلاطين المغرب يقدرونهم حق قدرتهم ويجازونهم على ذلك بالإقطاعات المديدة والعطايا العديدة.

● **بنو معقل**: يزعم المعقليون أنهم هاشميون من ذرية جعفر بن أبي طالب، ويعدهم الناسبون العرب من بطون هلال، ورجع ابن خلدون إلى أن يكونوا من ولد معقل وإسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث من بطون مذحج اليمنيين[1].

● **الثعالبة**: كانوا يسكنون أولا بجبل تيطري حيث مدينة أشير، ثم غلبهم عليه بنو توجين فانتقلوا إلى فحص متيجة المجاور لمدينة متيجة المجاورة لمدينة الجزائر فسكنوه وقد تتبع ملوك بنو عبد الواد منه القبيلة بالقتل والسبي والنهب إلى أن دثرت في نهاية القرن الثامن هجري ولم يبق لها منذ ذلك التاريخ وجود.

● **ذوي الحسان**: بنو مختار بن محمد بن معقل، كانت مواطنهم في الأول بنواحي ملوية إلى أن إستصرخهم علي بن بدر الزكندري صاحب السوس بعد الموحدين فصارخوه وارتحلوا إليه، ودخلوا مواطن

[1]-عبد الوهاب إبن منصور ، المرجع السابق ، ص422-414-424.

سوس فأقاموا بها لعدم المزاحم وصارت مجالاتهم بها وغلبوا جزولة وأسروهم في حملتهم ووضعوا الإتوات على المدن والقرى الموجود بها.

● **ذوي منصور**: أولا منصور بن محمد بن معقل وجمهورهم كانت مواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبله ما بين ملوية ودرعة ويجاورهم ورائها إلى الجنوب إخوانهم ذو الحسان[1].

● **بنو سليم**: هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. من أوسع بطون مضر وأكثرها جموعا، كانت مواطنهم الأولى بنجد، وكانت الرئاسة عليهم فيما لبني الشريد بن عصية بن خفاف بن بهثة بن سليم.

ولما أدركهم الإسلام كان منهم عناد، ومن بطونهم المشهورة قبائل عصية ورعل وذكوان الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا بأصحابه، ثم اسلموا وخاضوا فيما خاضت فيه بقية القبائل العربية من شؤون الخلافات والفتوح، وصاروا في عهد الخلافة العباسية أولى فتنة وبغى، تبلغ بها الجسارة إلى الإغارة على المدينة نفسها، فكان العباسيون يسرحون الكتائب لمحاربتهم والإيقاع بهم، فيذعنون إلى الطاعة ويخلدون إلى السكينة في قفارهم بقدر ما يستجمون وينتعشون فيعودون إلى حالهم، وبلغ من كراهية أحد خلفاء بني العباس لهم.

ولما ظهر القرامطة غمسوا أيدهم في فتنتهم، وحالفوا أبا الطاهر وبين أمراء البحرين مع بنى عقيل بن كعب، فلما ذهبت ريحهم وإنقرض أمرهم اعتنق بنو سليم مذهب الشيعة وتغلبوا على البحرين بدعوتهم لما إن القرامطة كانوا متشيعين، وإستمروا سادة هناك حتى قام بنو الأصفر بدعوة العباسيين، فإنتزعوا البحرين بإسمهم من أيدى بنى سليم في أيام بنى بويه وطردوهم عنها.

وينقسم شعب بني سليم إلى:

أولا: دباب: إختلف نسبهم فقيل أنهم بنو دباب بن ربيعة بن زعب الأكبر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ومن قبائلهم أولاد أحمد وأولاد يزيد وكذلك النوايل وأولاد سنان.

ثانيا: زغب: يضم الزاي وسكون العين، وضبطها الأجدابي بالكسر وكذلك بنطق بها الفصحاء من الأعراب.

[1]– عبد الوهاب إبن منصور، المرجع السابق ، ص414.

وقد ذكر ابن خلدون نقلا عن أبن الكلبي أنهم بنو زغب بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وقد ذكر أيضا التجاني في رحلته أنهم ينتسبون الى زغب الأصغر بن زغب الأكبر بن جرو بن مالك.

ثالثا: عوف: كانت مواطنهم واد قابس بجنوب القطر التونسي إلى عنابة بالمغرب الأوسط، وكانوا من قبائلهم[1].

ب.فئة البربر:

ب–1 القبائل الصنهاجية:

تنتمي إلى البرانس، وهي أشهر قبائلها وتنفرد بانتشارها الواسع، فعبد الرحمن بن خلدون يذكر أنهم يمثلون ثلث مجموع سكان المغرب فيقول :" لا يكاد قطر من لأقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير أنهم الثلث من أهم البربر".

وينقسم صنهاجة إلى بطنين وهما صنهاجة الشمال المقيمين في المناطق الشمالية ويسكنون بيوت مبنية ، وصنهاجة الجنوب لهم خيام وهم ملثمون ومنهم المرابطون، أما البطن الأول ينتمي إليه بجاية ومنها قبيلة تلكاثة هذه الأخيرة نقلت كغيرها من القبائل البربرية إلى بجاية، عندما إتخذها الناصر بن علناس الأمير الحمادي عاصمة له بعد القلعة، ونقل إليها الناس[2]، وأسقط الخراج، ليكون تحفيزا قصد تعمير بجاية من كل الجهات والأماكن وقبيلة صنهاجة ينحدر منها مؤسس الدولة الحمادية، حماد بن بلكين الصنهاجي.

ب–2 قبيلة كتامة

[1]– عبد الوهاب إبن منصور، المرجع السابق ،ص415.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6 ، ص152–357.

تنتسب الى البرانس، موطنها بجبال بجاية، وتشتهر ببطونها العديدة منها قبيلة زواوة[1] ،التي فضلت بجاية موطنا لها لما تحمله من مزايا متنوعة فهي مكان حصين متفتح على التيارات الداخلية والخارجية، يمثل مركزا اقتصاديا هاما، فكان توافد سكان قبائل زواوة عليها بشكل مستمر، بدأ أول تدفق في عهدي الأمير الحمادي "الناصر بن علناس" وابنه الأمير المنصور، اللذان شجعا الهجرة السكانية المحيطة بمدينة بجاية لاسيما سكان البادية كقبيلة بني سدويكش وزواوة على الإستقرار بالمدينة وهذا أمام إمتيازات قدمها الأمير بن خلال عهديهما، فالأمير الناصر بن علناس وكما ذكرنا سابقا أنه أسقط الخراج[2] لاستمالة الحركة الديموغرافية الى مدينته "الناصرية" –بجاية– أما الأمير المنصور الذي واصل أب أبيه بالإضافة إلى تشجيعه على العمران، هذا المجال كان عاملا في إستقطاب السكان إلى بجاية.

كما واصلت قبائل زواوة نزوحها إلى مدينة بجاية خلال عهدي الموحدي والعهد الحفصي الذي تفاقم وجودهم أكثر حتى صارت بجاية دارا لزواوة[3]، حيث أصبح زواوة من العناصر الأساسية للمجتمع البجائي، لاسيما أنهم كانوا من بين من دافع عن مدينتهم بجاية عندما زحف الموحدون إلى بجاية، فقد ثاروا وشنوا العديد من الغارات على الموحدين[4].

تولى العديد من أبناء قبيلة زواوة أمور بجاية كالقضاء مثل قاضي القضاة الذي ينتمي إلى فرع بني غبرين الزواوية، أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م)[5] ، كما كان لبادية قبائل زواوة فضلا كبيرا في دعم اقتصاد بجاية، فكانوا يزودون حوانيتها وأسواقها بمنتوجاتهم المتنوعة، والمرأة الزواوية كغيرها من النساء البادية ساهمت في هذا المجال، لما تنتجه من أواني فخارية ومنسوجات وملابس وأطعمة كالتين المجفف وقطف محصول الزيتون وصناعة الخبز وغيرها.

---

[1]– **زواوة:** موطنهم ومسكنهم بشمال افريقية ويسموا بزواوة لكثرة جموعهم إذ معنى زوى الشيء جمعه فهو زوا وأزوى، لهذا لا نجد في الزواوة يهوديا ولا نصرانيا ولا مذهب غير مذهب المالك ولا قراءة غير قراءة ورش" **ينظر**: أبو يعلي الزواوي، تاريخ الزواوة مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 90-109

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج 6، ص 206

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون المصدر نفسه، ج6، ص120

4– مفتاح خلفات ، قبيلة زواوةللمغرب الأوسط مابين القرنين 6 و9هـ–دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الامل ، تيزي وزو، الجزائر،2011مص88-89.

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص405، ابن قنفذ، المصدر السابق ، ص267.

وعليه يمكننا القول أن قبائل زواوة هي من بين العناصر السكانية التي ساهمت في تعمير بجاية منذ تأسيسها، كما أنها قوى فعالة ساهمت في حماية المدينة عسكريا ودعمتها اقتصاديا وإداريا وحتى علميا بتوافد علماءها على بجاية عاصمة العلم والعلماء.

ب–3 قبيلة زناتة:

رغم الصراع الذي كان قائما بين القبائل الزناتية والصنهاجية إلا أنه لم يمنع من وجود مصاهرات وارتباطات، ولدت علاقات بين المجتمعين فوجدت نسبة معتبرة من القبائل الزناتية تسكن حواضر الحمادية وبجاية واحدة منها سكنت بها قبيلة تواتة[1]، لم ينقطع الوجود الزناتي ببجاية منذ القرن 5هـ/11م ثم تشهد تراجعا في العهد الموحدي، ليعود بقوة بداية القرن 7هـ/13م بظهور دولة بني مرين.

ب–4 القبائل المصمودية:

ضمن فروع بربر البرانس، ينحصر وجودهم فقط ببلاد المغرب الأقصى من جهته الغربية، أن الزراعة مصدر عيشهم، تتواجد مواطن قبائل المصمودية فيشمل المغرب من حدود ، بلاد الريف من جهة الشرق إلى المحيط الأطلسي ، من جهة الغرب ، وتمتد إلى غاية الساحل إلى جنوب شمال سهول[2]،تتفرع منها عدة فروع منها : قبيلة هرغة وهناتة وتينملو كدميوة وكنفيسة ووريكة وركراكة وهزميرة ودكاتة وحاجة وهيلانة ،وتامسنا وبرغواطة[3].

وبعدما تم تأسيس دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين بالمغرب الأقصى،كانمنبين القبائل التي كانت لها عون او مناصرا قبيلة هرغة وقبيلة كومية، وتنميل، وهنتاتة، جنسيقة ،جدميوة ، وهسكورة[4]. هذه الدولة التي قامت بمساعدة هاته القبائل، لم تكتفي بالبقاء بالمغرب الأقصى،بل استطاعت أن

[1]– صالح يوسف بن قرية، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ص230.

[2]– جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الاسلامي (عصري المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004 الإسكندرية، ص 49-50.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص264.

[4]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص423-424.

تسيطر على كامل المغرب الإسلامي في القرن 6هـ 12م،فتمكن المصامدة من الاستقرار واستيطان مدن وحواضر المغرب الإسلامي.

كما سكنت قبائل بادية هسكورة مدن المغربية، أما قبيلة كومية وهي قبيلة الخليفة الموحد يعبد المؤمن بن علي"، سكنت المغرب الأقصى والجهة الشرقية للمغرب الأوسط[1]،لقد تمكن المصامدة الموحدين ،من تشجيع هجرة القبائل المصمودية إلى أغلب المدن المغربية ،بعدما آلت إلى حكمهم ومدينة بجاية كانت من ضمن الرقعة الجغرافية المصمودية والتي بدورها تلقت جموع هذه القبائل، بل إستوطنتها، فكانت من بين العناصر السكانية بالمجتمع البجائي،أما قبيلة هنتاتة و التي تنبثق منها تسعة بطون ، سكنت بدورها مدينة بجاية عهد الموحدي وألفيا توطد استيطانهم أكثر لما صارت بجاية إحدى حواضر الدولة الحفصية التي إستقل جدهم أبي حفص بن عمر بني حيعن الدولة الموحدية، فالهنتاتيون كانوا يحتلون الرتبة الثانية بعد قبيلتي هرغة و تينمل،لأنهم من القبائل الأولى التي سارعت في نصرة دعوة المهدي بنتومرت.

2. المطلب الثاني: المكونات الأجنبية للعامة التونسية:

أ. أهل الذمة :

أ-1 اليهود:

لقد كان سكان البلاد الحفصية في أغلبيتهم الساحقة مسلمين وقد درسنا توزيعهم ولكن بالرغم من قلة عدد الطوائف المعتقدة لديانات أخرى من يهود ونصارى بالنسبة إلى مجموع السكان، وسنبدأ بالعنصر اليهودي الذي كان موجودا دوما وأبدا في البلاد المغربية منذ العصور القديمة، أما في افريقية ذاتها فإن الدور الهام الذي قام به اليهود في الحياة الثقافية والاجتماعية بقرطاجنة الرومانية لقد قابله بعض مضي عدة قرون، الازدهار الخارق للعادة الذي عرفته الطائفة اليهودية بالقيروان[2].

[1]- ابن ابي زرع، الأنيس المطربروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تح عبد الوهاب ابن منور ، دار المنصور الرباط ، 1392هـ/1792م ، ص62-71، عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه ، ص157-423.

[2]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص429.

أما الوضعية الشرعية التي كان يتمتع بها اليهود في الدولة الحفصية، فهي نفس الوضعية التي يعترف بها الإسلام لأهل الكتاب المسموح لهم بالإقامة في دار الإسلام من طرف المجموعة الإسلامية الكبرى التي تضمن لهم من حيث المبدأ "حمايتها" وهي وضعية الذميين المعروفة والمفننة بمقتضى الفقه الاسلامي، ومقابل ذلك التسامح وتلك الحماية من جهة وحرصا من جهة أخرى على إبقاء الرعايا غير المسلمين دوما وأبدا في حالة متدنية بالنسبة إلى المؤمنين، فرض الإسلام على أهل الذمة التزامات جبائية وثيابية خاصة، وقضى عليهم بالحرمان من بعض الحقوق ويتمثل الأداء الخصوصي، الملازم إن صح التعبير لوضعية الذمي، في الضريبة الشخصية السنوية الموظفة على جميع الذكور البالغين والمعروفة باسم الجزية وهذه الضريبة هي التي كان يدفعها يهود افريقية بالعنوان المذكور الى الحفصيين.

وقد كانت تستخلص على الرؤوس ويعفى منها الأحبار المتمتعون بشيء من الشهرة، لا أرباب الشعائر الدينية العاديون ولا ندري بالنسبة إلى ذلك العصر ماذا كانت قيمتها ،وبالإضافة إلى هذه العنصرية الشرعية كانت الخزينة ، تطالب من جهة أخرى الطوائف الدينية بدفع بعض المبالغ بصورة تعسفية في مناسبات دورية أو بصورة إستثنائية في وهذا النوع من الأداء غير القانوني في نظر الشرعية الإسلامية كان يعرف بإسم القانون، وقد كانت الطائفة اليهودية في شخص رؤسائها مسؤولة على تسديده ومكلفة باستخلاصه، من أفرادها كما تراه صالحا ولكن لا ندري هل كان ارباب الشعائر الدينية ومعلمو المدارس اليهودية معفيين من تلك العنصرية مثل الأحبار وقد إستفتت بجاية شمعون دوران حول هذا الموضوع، فأجاب بأن العرف المحلي يقوم مقام القانون في هذا الميدان ولكنه رأى أن الحل المقبول إن كان ملائما لأرباب الشعائر الدينية وينبغي أن يطبق أيضا على معلمي المدارس[1].

أما لزام غير المسلمين بالتمييز عن المسلمين بإرتداء ثياب خاص وحمل مميز فلئن لم يكن من الأمور الأصلية والجوهرية إلا أن له جذور قديمة في الإسلام[2]، ولانستغرب إذا ما رأينا الحفصين ينسجون على منوال الموحدين فمنذ بداية عهد المنتصر سنة 648هـ/1250م قام ذلك السلطان بتجديد النظم

[1]- روبار برنشفيك ، المرجع نفسه ، ج1 ص435.

[2]-روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص436.

التمييزية بالنسبة إلى تونس، فظهرت من جديد عبارة الشكلة في كتابات الإخباريين[1]، وبعد ذلك بكثير: في النصف الثامن من القرن الخامس عشر أخبرنا الرحالة أدورن أن يهود تونس، كان لهم لباس خاص يختلف عن لباس المسلمين وإن لم يرتدوا ذلك اللباس المميز يتعرضون للتعنيف فكانوا يضعون خرقة من القماش الأصفر على رؤوسهم أو في أعناقهم ، أفلا تدل عبارة شكلة على تلك الخرقة من القماش ذي اللون الجذاب.

وقد تكون الشكلة متمثلة في علامة أخرى، على ان تلك العبارة قد إستعملت مدة طويلة للدلالة على اليهود للأهالي أو الشكلين مقابل العائلات القادمة من إسبانيا والمعبر عن أفرادها بإسم "الكبوسين" أعني لا بسي القلنسوات[2].

وهل كان الحفصيون يخضعون اليهود بالفعل للمحرمات التقليدية الأخرى، كركوب الخيل مثلا، يمكن أن نستدل على الأقل بإستثناء جدير بالملاحظة، ففي عصر برفات، أي في حدود سنة 1400 كان أقرباء رئيس الطائفة اليهودية الذكور بقسنطينة البالغ عددهم حوالي خمسين نفر يركبون الخيل، فهذا الفريق من الفرسان الذي كان له تأثير بعيد المدى على والي المدينة، إلا ان وجود هذا النوع من اليهود لايدل أبدا على أن السلطة الحفصية قد تهاونت في تطبيق الأمر القديم القاضي بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل وذلك في المدن الساحلية، وبالعكس من ذلك يبدو من المؤكد أكثر أنه لا وجود في نفس تلك المدن الحفصية لأي عائق رسمي يمنع اليهود من ممارسة حقهم في الملكية، ومن المحتمل من الناحية العملية أن تكون ممتلكاتهم موجودة عادة في الأحياء الخاصة بهم. ومهما يكن من أمر فإننا نراهم يتصرفون بكل حرية بوصفهم أصحاب عقارات ويشترون ويبيعون الأراضي والفنادق والمنازل ويشيدون المباني ويمكنهم امتلاك الرقيق من غير المسلمين[3] ،ولقد كانت السلطة الحكومية شاعرة بأهمية الموارد التي يوفرها اليهود للخزينة بأشكال مختلفة، وكانت تقدر حق قدرها على وجه العموم مساهمتهم المتعددة في

[1]– ابن قنفذ ، المصدر السابق ص322.

[2]–روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص437-438.

[3]–روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 439.

النشاط الاقتصادي ، ويبدوا أن اليهود المنتمين الى الجالية بإفريقية لم يرتقوا في العهد الحفصي إلى مناصب رسمية هامة. مثلما وقع في المغرب الاقصى في عهد المرينيين[1].

لقد كان يهود إفريقية يكسبون قوتهم من محصول نشاطهم الاقتصادي دون سواه تقريبا فباستثناء الوظائف الدينية كان عدد المهن الحرة المفتوحة في وجوههم ضئيلا للغاية ، ومن المحتمل جدا أن تكون لمهنة الطب بعض الممثلين من بينهم[2]، كما كانت صناعة المعادن الثمينة من ذهب وفضة،تمثل صناعة يهودية قديمة تم توريدها من المشرق إلى المغرب، ومما تجدر الإشارة إليه وجود بعض اليهود المنتصبين في سوق الصناعة بمدينة تونس حوالي سنة 1400[3].

وكان بودنا لو عرفنا إلى أي مدى قد شهد العصر الحفصي وجود بعض الأصناف من الحرفين الموجودين الآن والذين تدل عليهم، فضلا عن ذلك ألقابهم العائلية الذائعة مثل الحداد والعقار والنجار والنقاش والخياط والصباغ ، ومما لا شك فيه أن اليهود كانوا يتعاطون التجارة المالية، إذا كانوا يقومون بعمليات الصرف أو القرض الرهني، وكانوا يعرفون عهدهم "الكميالة" بإسمها الروماني "كمبيو".

وكان الناس يلتجئون إليهم بطيب الخاطر كوسطاء للحصول على خلاص الأسرى المسلمين المحتجزين في أرض النصارى ، ولا يبدوا أن التجار اليهود كانوا مختلطين عادة مع منافسيهم المسلمين في نفس أسواق بالمدن الكبرى كانت الخلافات كثيرة الوقوع، فما أكثر النزاعات الناشئة عن المسألة الدقيقة المتعلقة بإيداع البضائع أو المبالغ المستحقة بدقة، فقد كان الاشتراك أمرا شائعا وكان يعقد بمقتضى اتفاقية شفهية أو بموجب العقد ، وكان يكتسي صيغة شاملة ولمدة غير محددة أو يكتسي صيغة وقتية ويتعلق بموضوع محدد ،كما كان التجول أمرا شائعا عند اليهود فكان البائع اليهودي يتجول من مكان إلى مكان على ظهر دابتين لبيع الأقمشة الصوفية لحسابه الخاص ولحساب شريكه[4]. هذا وإن العلاقات

-الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب أخرجه مجموعة من الفقهاء

[1] بإشراف محمد حجي ، الأوقاف الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1401هـ ، ج2 ص183.

[2] -روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 442.

[3] -الأبي ،إكمال الإكمال المعلم ، دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ،د ت ،ج3 ص45.

[4] - روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ، ص443_444.

التجارية بين اليهود وغير اليهود كانت خاصة فقد كان عموم المسلمين يمثلون جمهور الحرفاء والمشترين والمقترضين ، وكان لليهود أنفسهم مزودون وأحيانا بعض الشركاء[1].

إننا نعلم ما كانت تتمتع به عادة الطوائف المسيحية داخل الدول الإسلامية من إستقلال إداري وثقافي واسع النطاق فقد كانت مغلوبة على أمرها ومراقبة ومستغلة إذا لزم الحال ولكنها كانت تنظم شؤونها بنفسها حسب مشيئتها إذا كانت لها ماليتها ومحاكميها وكانت تتولى لفائدة أتباعها شؤون الشعائر الدينية والأعمال الخيرية والتعليم وتطبيق قانون الأحوال الشخصية وحتى الحقوق العينية بالنسبة إلى أفراد الطائفة فيما بينهم ، وإلى جانب الأعيان العلمانين ولو أن هذا التمييز يكتسي في غالب الأحيان صبغة إعتباطية يساهم الأحبار في تسيير شؤون الطائفة ، فبعض ألقاب كانت ألقابا فخرية خالصة مثل المسيكل والحاخام وليس لها دليل سوى ما يريد أن يوليه حبر من الأحبار من إعتبار للذين يضفي عليهم ذلك اللقب.

وهناك وظيفة رسمية في افريقية الحفصية تبرز مكانة بعض الأحبار ومن وظيفة القاضي المعروفة كما هو الشأن في كل مكان بإسم الديان ، وإذا أردنا التعرف عن كثب مع طقوس اليهود افريقية الحفصية فإن أجوبة أحبار الجزائر تفيدنا بكثير من المعطيات الهامة فهي تخبرنا عن الحيل التي كان يلتجئ إليها بعض أصحاب البقر كحلب دوابهم أيام الأعياد، دون مخالفة قانون التحريم الديني إذا كانوا يضعون مسبقا في آلة الحلب قطعة خبز وبواسطة البراهين البارعة أجاز بعضهم هذه العملية وقد رفض برفات هذه الوسيلة الملتوية وبالخصوص ماسيترتب عليها من تجاوزات أخطر لا سيما إمكانية حلب الأبقار من طرف المسلمين يوم السبت كما سجل خرق آخر بخصوص الراحة الأسبوعية يوم السبت ووقع التنديد به أثناء إقامة الشعائر الدينية فقد كان اليهود يحملون شمعة إلى البيعة يوم السبت ويوم العيد، عند تقديم طفل لأول مرة [2] ، وقد شهدت افريقية في موانئها نزول عدد من العائلات والأشخاص العابرين أو العارضين على الاستقرار وقد كان كثير من أولئك اللاجئين، حسب التقاليد الجارية في موطنهم الاصلي رجال علم أو أدب نخص بالذكر منهم الفلكي والمؤرخ الذائع الصيت إبراهيم ذاكوتو والعالم التلمودي

[1]- البرزلي ، جامع مسائل الأحكام ، ج2 ، تق و تح ، محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2002م ص159.

[2]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص447-450-453.

موسى الأشقر الذين مكثا في تونس قبل التحول إلى المشرق وقد أنهى الأول في عاصمة الحفصية سنة 1504م تأليف كتابه علم الأنساب أو سفر يوحاشين بالعبرية.

أ-2 النصارى:

خلافا للديانة اليهودية التي إستمرت في الوجود بدون انقطاع رغم بعض الفترات ، الحرجة في كامل البلاد المغربية ، منذ العصور القديمة ما تمكنت المسيحية تتقهقر أمام الإسلام في القرون الأولى من العصر الوسيط إلى أن انقرضت بصورة تكاد تكون تامة.

ففي القرن الحادي عشر من الميلاد مازالت توجد بعض العناصر المسيحية الأهلية في تلمسان مثلا وبصورة قطعية في كثير من المدن الرئيسية بمنطقة قسنطينة والبلاد التونسية مثل قلعة بن حماد وعنابة وتونس وقرطاج والقيروان ، فالعناصر المسيحية التي سنجدها في العصر الحفصي ليست لها أية علاقة، لا من حيث أصلها ولا من حيث طبيعتها ولا من حيث وضعيتها، مع العناصر المسيحية المحلية القديمة التي انقرضت، ذلك أن جميع هؤلاء المسيحيين قد قدموا من الخارج، منذ عهد قريب وهم يعتبرون بالنسبة إلى أغلبيتهم من الأجانب وينقسمون إلى أربعة أصناف متميزة تماما: التجار والجنود والرقيق ورجال الدين[1].

هذا وإن وضعية أولئك النصارى كانت ترتكز على أساس تعاقدي، وكانت محددة بالمعاهدات المبرمة من الدول الأوروبية والسلطان لمدة متغيرة أما الذين لا يستطيعون الانتفاع من أي اتفاق رسمي مبرم مع دولهم فقد كانوا يضعون أنفسهم تحت لواء دولة صديقة وفي صورة قطع العلاقات بين الدولة وبين بلدهم أو عدم تجديد المعاهدة، فإن أولئك التجار يجدون أنفسهم بلا دفاع تحت رحمة سلطان المكان[2].

كان رعايا دولة من الدول الأوروبية يقصون أحيانا من الناحية العملية منافسيهم النصارى يتمتعون في الواقع باحتكار حقيقي سواء بالنسبة إلى الإقامة أو التجارة[3] .

وبالإضافة إلى ما يدر عليهم نشاطهم التجاري البحث من أرباح ثمينة بالنسبة إلى اقتصاد إفريقية والى الجباية، كان أولئك النصارى يستفيدون من استخلاص "ضريبة الملح" وموارد المصائد التي كثيرا ما تتنازل

[1]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 460-461-462.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص94.

[3] -روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص464.

الدولة الإسلامية عنها لفائدتهم ، إن قناصل ما وراء البحر التابعين للدول المسيحية، قد ظهروا في إفريقية خلال الربع الثاني من القرن الثالث عشر، ولقد كان القنصل يجمع في شخصه ثلاث صفات، فهو ممثل بلاده ورئيس الجالية التابعة لدولته وحاكمها ، فإن وجود القناصل كان غير كاف في بعض الظروف المعينة، وقد كانوا بوجه خاص يجدون صعوبة للحصول لدى العاهل المسلم على إطلاق سراح الأسرى من ضحايا الغارات البحرية أو تسوية مخلفات القرصنة. ولم يكونوا مكلفين قد بالتفاوض في شأن معاهدات التجارة والصلح، إذ ان المهمة المذكورة كانت موكولة إلى عدد المبعوثين أو السفراء الوقتين المزودين بسلطات خاصة والمعتمدين من طرف الدول الأوروبية لدى السلطان الحفصي أو من طرف هذا الأخير لدى تلك الدول ، وقد كان السفراء النصارى الذين يتحولون الى إفريقية يتحصلون أحيانا من لدن حكوماتهم على سلطة قضائية عامة على مواطنهم في ميدان القضايا المدنية والجنائية.

إن استخدام الجنود المسيحيين لم يكن أمرا جديدا في بلاد المغرب، والمقصود بأولئك الجنود بعض المتطوعين الأحرار الذين ظلوا متمسكين بديانتهم، وبالنسبة إلى الحفصيين فإن تواصل ذلك النظام كان أقل وضوحا إلا أننا لا ندري بالضبط تاريخ وظروف ظهور المرتزقة النصارى في البلاد الحفصي ولا يمكن تشبيههم كما فعل بعضهم بالموالي العلوج[1]، وقد كان الجنود النصارى الذين هم موضوع حديثنا هذا من أصل حر وقد حافظوا على ديانتهم طوال عدة قرون ، ولم يشغلوا في الدولة الحفصية مناصب أخرى، غير مناصب حرس.

هذا وإن المعلومات التي لدينا حول النصارى المذكورين العاملين في خدمة سلاطين بني حفص متمركزة أساسا حول النصف الثاني من القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر فمنذ سنة 658هـ/1260م ، إستضافت تونس أحد الفرسان اللاجئين المرموقين ألا وهو الأمير دون هانري إبن ملك قشتالة سان فرديناند فقد ثار على أخيه الملك ألفونصو العاشر وعندما انهزم، في المعركة استقر مع عدد من أتباعه لدى المستنصر الذي خصه باستقبال رائع وفي السنة الموالية صاحب الأمير أبا حفص بضع سنوات ، شقيق السلطان في حملة عسكرية ضد مليانة الثائرة، ويبدوا أنه بقي في البلاط الحفصي بضع سنوات.

[1]-روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 464-465-467-470.

إن أكبر دليل على أن البلاط الحفصي كان آنذاك الملاذ الطبيعي بالنسبة إلى كبار رجال الدولة المسيحية عندما يجدون ،أنفسهم في وضع حرج ، ولقد رأينا منذ حين أن الفرسان النصارى المستقبلين في تونس لم يكونوا كلهم أرجونيين أو قطلونين، ويمكن أن نذكر جنودا آخرين منتمين إلى جنسيات أخرى نخص بالذكر منهم مورشيو دي فارازي ، الذي قاتل عن سبيل سلطان إفريقية وأحد نبلاء البندقية من آل جيوليابي، الذي عمل في خدمة سلطان تونس مدة أربعة وأربعين شهرا صحبة خدمته والمكلفين بجياده ، فقد كان ملوك أرجونة حريصين على تعيين رؤساء أو قواد أولئك الجنود بأنفسهم وعزلهم حسب مشيئتهم وفضلا عن ذلك فقد طالبوا مرات متعددة ، بأن تمتد سلطة أولئك القواد الى كافة الجنود النصارى المرتزقة العاملين في خدمة السلطان ولم يكن ملوك أرجونة غير مبالغين بقيمة الأجور ، التي يمنحها الحفصيون للجنود النصارى، ذلك أن وثائقهم الديبلوماسية تظهر حرصهم على إبقاء تلك الأجور في المستوى الذي ضبط في عصر غليوم دي مونكادا[1]، كما حصل في الدول الإسلامية الأخرى في المغرب فقد تدخل أولئك المرتزقة في شؤون الدولة الحفصية الداخلية وقد أشارت المصادر الى هاتين الحالتين المتعلقتين بتونس ففي سنة 1280م، يبدو أن أحد قادة الجنود المسيحيين قد شارك في مؤامرة مدبرة ضد الجالس على العرش ، ومن حسن حظنا فإن لدينا معلومات ثمينة أمدنا بها الرحالة أدورن حول حالتهم الاجتماعية ، إذ أخبرنا أن حراس السلطان المفضلين كانوا دوما وأبدا "نصارى الربط"، من أحفاد المرتزقة الأقدمين[2] وقد تعربت عادات النصارى إلى حد كبير وكانوا يرتدون ملابس الأهالي المسلمين مقتصرين على تعويض العمامة بالقلنسوة ولكنهم ظلوا متمسكين بدياناتهم المسيحية ولقد شاهد ليون الإفريقي المعنيين بالأمر أوائل القرن السادس عشر وسيبقون في تونس بعد احتلالها من طرف شارل الخامس حتى انقراض الدولة الحفصية[3].

ولقد كان الرقيق النصارى ذكورا وإناثا ، منتدبين بصورة تكاد تكون مطلقة عن طريق ، الجهاد في البحر وحتى الذين يعرضون في السوق للبيع بطرق سلمية ، وعليه فإن الأسرى من الرقيق كانوا يباعون مباشرة إلى بعض الموظفين أو الأفراد ، او يحتفظ بهم لخدمة الإدارات العمومية أو السلطان وكانوا

[1] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 471-472- 473 ، 474.

[2] – الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ص33 ، 60.

[3] – روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 478.

يقومون بمساعدة المقيمين في ضواحي المدن بأعمال البستنة والزراعة ، ويبدوا أن اليد العاملة التي وفروها لم تقم بالدور الاقتصادي على غاية الأهمية لكن التقنية قد استفادت من تجربتهم كفن البناء وكصنع الأسلحة .

أما فيما يتعلق بالدور الاجتماعي والسياسي فقد كانوا يضمون الأسيرات النصرانيات إلى نساء الحريم، فباستثناء ذلك لم يقم أولئك الرقيق بأي دور في هذا الميدان ماداموا في حالة رق وقد كانوا منتمين غلى صنف المعتوقين "الموالي "ويطلق عليهم أيضا اسم المماليك ، وفي الجانب الديني فقد كان لهم الحق في القيام بشعائرهم الدينية فأنشأوا كنيسة في فندقهم للقيام بطقوسهم الدينية ومقبرة لدفن موتاهم[1].

أ-3 العبيد :

نجد نوعان من العبيد هناك من يشترون من الأسواق بأثمان زهيدة ، كما أن هذه الأسواق كانت متوفرة في كثير من البلدان و المجتمعات حيث كانوا يستوردونهم من بلاد السودان الغربي ن أو من أي بلاد ويبيعونهم في الأسواق على مختلف أعمارهم ، ذكورا وإناثا ويستعملونهم كخدم لدى السلاطين في بلاطهم وكجواري وكخدم ، حيث كان هؤلاء السلاطين يتفننون في شراء الجواري لتلبية حاجياتهم من رقص وغناء وطبخ وغسل وكنس وغيرها ، وتراهم هؤلاء السلاطين يستبدلونهم بأخريات إذا سئموا منهم يبيعونهم كما يباع المتاع وهم من المتاع ، حيث يتفاخرون بالجواري في الطباع والخناع والقوة[2].

أما النوع الثاني من العبيد هم من يجلبونهم من الغارات على الدول الأخرى أو المجتمعات المجاورة، إما عن طريق التهريب ويبيعونها في الأسواق ، ولو أحرارا وهم في الأصل كانوا أحرارا وعندما إمتلكتهم يد أخرى صاروا في الرقيق ، وإما عن طريق الحروب التي تقع بين الدولة، حيث يعتبرون من الغنائم كالأمتعة والخيل والدروع والسيوف وغيرها[3] .

---

[1]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ص 478- 479، 480 ، 481.

[2]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص239.

[3]- محمد التلمساني ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ينظر مختار حساني ، المرجع السابق ،ص83 .

ومن بين من يشترى ويستعمل هؤلاء العبيد أيضا كبار التجار والوجهاء، حيث يستعملونهم في شتى مجالات الحياة ، في زراعة الحقول وحرثها والمتاجر والمحلات والمصانع حيث كانوا يقومون بالأشغال الشاقة ولا يأكلون إلا ما تبقى من فتات أسيادهم ولا يأتمرون إلا بأوامرهم، حيث كان الخدم يرافقون أسيادهم في أسفارهم و ترحالهم لخدمتهم و مساعدتهم أثناء السفر و المكان الذي يصلون إليه[1].

في حين كانت النساء ترافقهن الوصيفات في الأسواق إما يحملون لها الأشياء وإما يؤنسونها ويحمونها في نفس الوقت حيث يحيطون بها من كل جهة أو يحملون أولاد سيداتهم ويعتنون هؤلاء الوصيفات بتربية أولاد أسيادهم مما ينتج عن هذه التربية من سوء الخلق لدى الأطفال الذين يتربون على يد الخدم وكان هؤلاء العبيد يعانون من الضرب والشتم والسب وسوء المعاملة ، حيث يضربونهم أحيانا ضربا مبرحا دون حسيب أو رقيب ، ويمنعونهم أحيانا من الطعام وكانت مساكنهم أدنى المساكن إذ يسكنون في البيوت القريبة من أعشاش الطيور كالزرابي و حضائر المواشي، وكان أغلب هؤلاء من الخصيان حيث لا يأمنون على بناتهم وزوجاتهم، مما يعارض الحقوق العامة نجد الشرع والشارع العامة.[2]

[1]–عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 647.

[2]– عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص224.

الفصل الثاني:

الأوضاع الاجتماعية للعامة الحفصية في تونس

المبحث الأول: المظاهر الاجتماعية

1- **المطلب الأول: التغذية واللباس والمسكن:**

أ. التغذية

ب. اللباس

ج. المسكن

2- **المطلب الثاني: المرأة العامية في تونس الحفصية:**

أ. الزواج

ب. الطلاق

II. المبحث الثاني: الآفات الاجتماعية وردود فعل العامة

1. المطلب الأول: الجوائح الطبيعية

2. المطلب الثاني: ردود فعل العامة أثناء المجاعات:

أ. الحركات الشعبية :

أ-1 حركة ابن أبي عمارة :

أ-2 مساندة العامة لحركة بن أبي عمارة:

المبحث الأول: المظاهر الاجتماعية

1. المطلب الأول: التغذية واللباس والمسكن:

أ. التغذية:

لقد كان الغذاء العادي لسكان إفريقية مقتصرا على عدد قليل من المواد الأساسية، وهي الحبوب من الحنطة أو الشعير، وزيت الزيتون والحليب والزبدة والتمر والتين، يضاف إليها طبعا الملح وهذه المواد قليلة العدد توجد كلها من بين الموارد العادية التي تنتجها البلاد نفسها وتكاد لاتحتاج إلى توريد بعض الكميات الإضافية من تلك المواد، ماعدا القمح مثلا ونحن نتصور مايجنيه مربوا الماشية من البدو الرحل، من استهلاك الحليب الذي يستعمل أساسا في شكل زبدة أو سمن أو لبن، لتغذية سكان المدن[1].

كان الجبن يصنع من حليب الماعز أو الغنم، وكانت التمور تعتبر غذاء على غاية من الأهمية بالنسبة إلى الذين يقيمون في الواحات الجنوبية أو يحيطون بها، ولكنها كانت تباع في جميع أنحاء البلاد، وكانت تستعمل كمادة سكرية ربما أكثر من العسل، وأما بالنسبة إلى الحبوب فإن القمح الموجود بأقل وفرة وبأغلى ثمن ، كثيرا ما كان يحل محله الشعير الذي هو في متناول عامة المستهلكين، وفي آخر الأمر فإن الشعير والزيت، كما أشار ابن خلدون[2]هما اللذان يمثلان الغذاء الأساسي بالنسبة إلى مواطنيه في إفريقية[3].

وهذا لا يعني أن الأغذية الأخرى غير التي أشرنا إليها آنفا، كانت مجهولة أو مهملة تماما فقد كان بيض الدجاج يحتل مكانة من بين الأغذية الأخرى ولئن كان أهل إفريقية، بإستثناء المناطق الساحلية يستهلكون كميات قليلة من السمك فإنهم جميعا كانوا يحبون أكل اللحم (لحم الطيور، لحم البقر، وعلى وجه الخصوص لحم الضأن والخروف ولحم الإبل) بالنسبة إلى البدو الرحل أو سكان الجنوب[4].

---

[1]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج2 ، ص281.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1،ص180.

[3]- الوزان ليون الافريقي، وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ج3، ص152.

[4]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج2 ، ص282.

ولقد أشار بعض المؤرخين عندما تحدثوا عن الإنتاج الزراعي ثم التوريد، إلى أهم الخضر والفواكه التي كانت متوفرة في إفريقية، فقد كانت متنوعة ولكنها أغذية ثانوية وموسمية في معظمها، ولكن يجب أن نستثني البصل والفول إذ يبدو أن استهلاكهما كان منتشرا بكثرة لأن أهل العاصمة كانوا يحبون استهلاك الفول والحمص ، وقد كان من الممكن أكل الحنطة أو الشعير بالخميرة أو بدونها وذلك في شكل خبز أو بشماط (بسكويت)، وكان خبز القمح في مدينة تونس ناصع البياض ولذيذ جدا[1].

وفي مقدمة تلك الأطعمة نجد الكسكسي، وهو طعام مصنوع من السميد المطبوخ بالبخار والمسقي فيما بعد بالحليب أو المرق[2].

وكانت بعض الأطعمة تصنع في المناسبات أو السنة الهجرية مثل العصيدة التي كانت تقدم للنوافس والرفيس أو الرفيسة وهو طعام لذيذ مصنوع من الحنطة والتمر وبعض التوابل[3]، والغالب على الظن أن الأطعمة الثلاثة التالية التي أشار إليها مؤلف تونسي في القرن السابع عشر كانت رائجة في العصر الحفصي بنفس تلك المناسبات وهي الدويدة المصنوعة من فتائل العجين ولحم الدجاج، والتي يتم تناولها يوم عاشوراء، والمروزية المصنوعة من لحم خاص بمناسبة الأعياد والمرقاز وهو نوع من النقانق، مزال معروفا إلى اليوم [4].أما الحلويات فقد كانت تتمثل في الكعك والسفنج والفطيرة والجردق والزلابية والمقروض بدرجة كبيرة[5].ولم تظهر في إفريقية آنذاك لا القهوة ولا الشاي ولا التبغ.[6]

إن التغذية العادية لأغلبية السكان لئن كانت قليلة الوفرة والتنوع نسبيا، فإنها تكاد تكون كافية في الظروف العادية.[7]

ب. اللباس:

[1]– روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج2 ، ص283.

[2]– مناقب سيدي ابن عروس ، ص393.

[3]– الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق ابراهيم شيوخ ، ط1 ، ج4 ، 1960م ص115.

[4]– الدباغ ، المصدر نفسه ، ص228.

[5]– الونشريسي، المصدر السابق ، ص16.

[6]– الوزان ليون الفريقي، المصدر السابق ،ص143.

[7]– روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص285.

لقد كان لباس أهل إفريقية، بالمقارنة مع لباس المصريين في نفس الفترة الزمنية يتم ببساطة أكثر[1] وتزداد تلك البساطة أكثر فأكثر، بالنسبة إلى الطبقات السفلى من سكان المدن وجل سكان الريف، فعندما تحدث ابن خلدون عن صناعة الخياطة لاحظ أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب إشتمالا وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس، من مذاهب الحضارة وفنونها[2].

وتحدث الرحالة أدورن عن الفقراء والعمال اليدويين في مدينة تونس في القرن الخامس عشر، فلاحظ أنهم كانوا يمشون حفاة وبدون سراويل، مكتفين عادة بارتداء ثياب قصيرة، بدون أي زخرف يغطيهم إلى حد الركبتين.

وهكذا فقد كان عموم السكان يرتدون ملابس على حالة يرثى لها، وبعبارة أحسن كادوا يكونون عراة، وحتى بالنسبة إلى الفئات الاجتماعية المتوسطة أو الرفيعة التي تملك ملابس أكثر تنوعا وأحسن جودة، فإن ثياب الرجال لاتتميز قط بالتأنق والبذخ المفرط[3]، وقد كان الناس يحددون ثيابهم ويلبسون بمناسبة الأعياد الدينية أو العائلية [4]

أما عامة الناس أو الأشخاص غير المعنيين بهندامهم فقد كانوا يضعون على رؤوسهم قلنسوة أو طاقية من الصوف تعرف منذ ذلك التاريخ باسم الشاشية ويمكن أن يلبسها الأطفال أيضا[5]، ويبدوا أن الأحذية كانت متنوعة أكثر من البوابيج المصنوعة من الأسل والتي كان ينتعلها سكان المنستير، وإلى الأحذية المصنوعة من جلد الأيل والتي كان يستعملها أهل قفصة [6]، وفي تونس القيروان أشارت المصادر إلى وجود المداس والقرق في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ومن الصعب توضيح النوع الأول الذي

[1]–روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص288.

[2]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج 2 ،ص380.

[3]– روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص 288–289.

[4]– مناقب سيدي ابن عروس، المصدر السابق ، ص417.

[5]– الدباغ ، المصدر السابق ، 3 ص274،(دخل علينا رجل عليه، جبة بيضاء وعلى رأسه فويطة وقلنسوة وعلى أكتافه فويطة)،مناقب سيدي ابن عروس ، ص223.

[6]–الوزان ليون الافريقي، المصدر السابق ،3،ص115.

ربما يصنع من الحلفاء وأما الثاني فهو عبارة عن خف، نعله مصنوع من الفلين يناسب استعماله المدينة[1]، كما يمكن في الشارع انتعال الأحذية المصنوعة من الخشب والمعروفة بإسم القباقب[2].

ويستحق اللباس النسائي أكثر من الأسطر القليلة التي أجبرتنا الوثائق المتوفرة لدينا على الإقتناع بها فعلى وجه العموم كانت المرأة الريفية تخرج بدون حجاب فقد جاء في معالم الإيمان أن امرأة ظهرت وعليها نصف حنيل وتحته فوطة[3] وقد كانت النساء الريفيات تستعمل الأدهنة سواء في وجوههن أو في أعضاء أجسادهن[4] ، ولكن الأمر لم يتعلق بالزينة لا غير بل كان يتعلق بمظاهر وقائية أو طبية كما هو الشأن عادة بالنسبة للوشم[5].

ج. المسكن

أن لدينا معلومات أقل وفرة حول المسكن وذلك إذا ما إقتصرنا على الوثائق التي يرجع عهدها إلى العصر الحفصي والجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن التصنيف المعتمد على وجه العموم في الوقت الحاضر[6]، والمتمثل في تقسيم المساكن إلى ثلاثة أصناف كبرى، وهي الخيمة والكوخ والدار، يمكن أن يكون صالحا بدون شك بالنسبة إلى العصر الوسيط وينبغي أن نشير إلى الغرف والبيوت المنحوتة في الجبل بعضها فوق بعض، فمالا شك فيه أن سكان يغمراسن الواقعة على التخوم التونسية الطرابلسية، كانوا يعيشون في أوائل القرن الرابع عشر في الغيران[7] ولكن لا تتوفر لدينا معلومات مضبوطة حول كل صنف من تلك الأصناف الثلاثة الأساسية وحول توزيعها الجغرافي والاجتماعي، وكل ما يمكننا اعتقاده أن انتشار حياة الترحال قد زاد في توسيع نطاق استعمال الخيمة، ولكننا لانستطيع أبدا الإجابة على الأسئلة التالية: كم كان يوجد من أشخاص بدون مأوى من بين عامة السكان ؟ وحتى بالنسبة إلى أفراد

[1]- الدباغ ، المصدر السابق ، 4، ص228.

[2]- مناقب سيدي ابن عروس، المصدر السابق ، ص190.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص117.

[4]-الوزان ليون الافريقي، المصدر السابق، 1، ص68.

[5]-روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص294..

[6]- روبار برنشقيك، المرجع السابق، ج 2، ص295.

[7]- التيجاني ، الرحلة ، تق: حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ج 2،1378هـ/1985م، ص110.

العامة غير المجبورين على التسكع، ماذا كان يمثل المسكن العائلي من حيث المساحة وبالنظر إلى قواعد حفظ الصحة؟

وحول الخيمة البدوية المصنوعة في شمال افريقيا من أشرطة مستطيلة من الصوف الممزوج بالوبر وكذلك الشأن بالنسبة إلى الكوخ، وكل مانعلم في هذا الصدد أن التيجاني قد لاحظ بخصوص جزيرة جربة ان أكثر مساكن أهلها أخصاص من النخيل يجعل كل واحد منهم في أرضه واحدا أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله[1].

وقد أشير إلى ذلك النوع من المساكن المصنوعة من النخيل بعد ذلك بمائة سنة في تاجورة[2]، أما التنوير فكان يقع على وجه العموم بواسطة مصابيح الزيت (القنديل) وكانت أبسط نماذج تلك القناديل مصنوعة من الطين وكان الناس يعرفون الثقاب (الوقيد) المصنوعة من الكبريت [3].

وختاما للحديث عن مستوى الحياة المادية كان عدد السكان الذين يعانون من سوء التغذية فيرتفع أكثر من اللازم وكذلك الشأن بالنسبة إلى الأشخاص المحرومين من اللباس اللائق، إلا أن ذلك يكتسي أقل أهمية بالنسبة إلى إفريقية ذلك أن العامة لم تكن متشددة من هذه الناحية، حيث أن حاجاتها لاتزال آنذاك قليلة ومع ذلك لم يكن منالسهل تلبيتها أثناء فترات المجاعة المتكررة[4].

2. المطلب الثاني: المرأة العامية في تونس الحفصية:

تميزت المرأة وخاصة التونسية أنداك بأناقة في اللباس والحرص على الاعتناء بمظهرها، كما استعملت عدة عقاقير ومستحضرات وحشائش للتجميل مثل كحل العين وسواك الأسنان والحناء للشعر والطيب للرائحة ،كما أنها لم تكن فقط زوجة أنيقة ومربية للأولاد وطباخة لاتكل، بل أنها شاركت في الإنتاج الحرفي وقد عرفت خاصة بغزل الصوف وحياكته وقد انكبت على غزل مايقتنيه الرجل من الصوف بغرض تسويقه في سوق الغزل، وحسب عبارة ابن عرفة:"النساء أجمع يغزلن" وهو مايتوافق مع شهادة الوزان في مهارة التونسيات في غزل الصوف.

[1]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص295.

[2]- التجاني، المصدر السابق ، ج 2، ص129.

[3]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص297.

[4]- ابن القنفد ، المصدر السابق ، ص317.

وتعودت الكادحات على التعاون في انجاز هذا العمل فكن يجتمعن في منزل واحد للعمل أين يقع ذلك بالتداول ما يسمى دولة النساء وتخصصت البعض منهن في هذا العمل فأجرت نفسها لغزل الصوف مناصفة[1].

وفي تلك الحقبة أصبح المغزل المسمى القرنوز عنوانا لشقاء الكادحات في عمل الصوف كما تبينه الأهازيج التي يرددها التجار لبيعه قائلين :" من يشتري بقاطعه مايتعب أصابعه"[2].

أ. الزواج:

بالنسبة إلى قضية الزواج المطروحة ،سنترك جانبا طقوسه السحرية الدينية البالغة الأهمية، والتي يبدو أنها لم تتطور كثيرا، فنذكر مثلا الصبية فهي معرضة أكثر من الصبي لتحمل الضغط الزواجي (الجبر) المسلط شرعيا على البنت غير البالغة، والذي كان يجبرها لا فقط على ربط علاقات زوجية مبكرة، بل أيضا على إتمام الزواج ، ففي البلاد التونسية كان العرف الفقهي، في القرنين الرابع عشر والخامس عشر يقضي بعدم زواج البنت غير البالغة، بمطلق الحق، إذا كان سنها دون العاشرة، وبدون موافقة القاضي وهو تحديد على غاية من الأهمية، يبدو أن العصور الحديثة لم تحترمه.

في القيروان كان النساء، في أوائل العصر الوسيط ،ومازلن يتمتعن بنوعين متقاربين من عقود النكاح الخاصة التي كانت تحميهن من مغيب الزوج مدة طويلة ومن زواجه بامرأة ثانية، وتوجد بالجامع الأعظم بالقيروان عدة عقود يرجع تاريخها إلى العهد الموحدي والحفصي ، تبين لنا النوع الأول والثاني من تلك "الشروط" أو النوعين معا، وقد حررت تلك الشروط على حدة، باعتبارها تفويضا خاصا من الزوج، وذلك في أسفل الصفحة وعقب صيغة العقد، وفي نفس تاريخ تحرير العقد، وذلك لأن الفقهاء ينكرون إدراج تلك الشروط في صلب عقد النكاح، وبمقتضى الشروط المذكورة يعترف الزوج مسبقا بحق الزوجة في تطليق نفسها، إذا غاب عنها أكثر من مدة معينة —ستة شهور في الوثيقة الأولى وأكثر من أربعة أشهر في الوثيقة الثانية[3]، وعلاوة على ذلك يسمح لها في بعض الوثائق الأخرى بتطليق الزوجة الثانية التي يكون قد تزوجها.

[1]– محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 787-788.

[2]– البرزلي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص70.

[3]– روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص175.

ويذكر البرزلي الذي استقر مؤقتا بالقيروان بصفة موظف شرعي، لم يبد استعداده للامتثال إلى عادات تلك المدينة، ولم يرض بإجباره بتلك الصورة على الاقتصار على زوجة واحدة ،ولقد رفضت زوجته التي ربما قيروانية، الذهاب معه إلى تونس، إذا لم يوفض لها كتابيا حق تطليق أية زوجة أخرى يتزوج بها، فاستجاب في آخر الأمر إلى طلبها ، ولكنه بوصفه متدربا ماهرا على القانون – وقد تباهى هو نفسه بتلك الحيلة –، قد قام بفسخ ذلك التفويض بمقتضى رسالة مضادة (رسم استدعاء)، واتخذ احتياطا إضافيا متمثلا في تكليف نفس الشاهدين العدلين بتحرير الرسمين المذكورين، وبالفعل فقد تزوج فيما بعد زوجة ثانية، واستظهرت الزوجة الأولى بدون جدوى برسمها الذي أصبح لاقيمة له[1].

هذا وإن درس زهاء الخمسة عشر عقدا من عقود النكاح قيروانية يرجع تاريخها إلى العصر الموحدي أو إلى عهد أبي زكريا الأول يسمح لنا بأن نؤكد أن الشروط الواردة آنذاك في نصوص العقود لا تختلف كثيرا عن شروط اليوم ،"فالصداق" الذي يمنحه الزوج للزوجة كان يختلف كثيرا باختلاف المنزلة الاجتماعية للأطراف، وحالة المرأة، إن كانت بكرا أم لا، فهو يتراوح بين أربعة دنانير بالنسبة لامرأة مطلقة مرتين إلى مائة وستين دينارا بالنسبة إلى يتيمة،احتفظت ببكارتها، ويمكن أن يشتمل بالإضافة إلى ذلك، بالنسبة إلى بعض الأبكار المحظوظات، على عدد الخادمات وبعض رؤوس الماشية وقوافيز من القمح والشعير وأمطار من الزيت، كما نجد وثيقة من الوثائق التي بين أيدينا[2]،علاوة على ذلك علبة من العطور وطبقا من التمور (بطانة)[3] ،وفي مدينة تونس في القرن الرابع عشر، كانت عائلة العروس، حسبما يبدو هي التي توفر جهاز (أو شوار) إبنتها[4]،ومازال الأمر كذلك إلى يومنا هذا في العاصمة وبعض المدن التونسية الأخرى، وليس كذلك بالنسبة إلى مدينة صفاقس، وبالنسبة إلى البدو.

ويمكن أن تحصل في هذا الشأن بعض التغيرات، خلال العصور المتعاقبة، لابأس من معرفتها، فهناك إشارة طفيفة في الظاهر ذكرها لنا عرضا أحد الفقهاء التابعين لذلك العصر، وهي إشارة جديرة بالملاحظة، فمن بين الأدوات المنزلية ،كانت الأدوات النحاسية تابعة للزوجة أو الزوج، حسب الأوساط

[1]– البرزلي، المصدر السابق ، ج2 ، ص27.

[2]– روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص176.

[3]– ابن الشماع ، المصدر السابق ، ص143.

[4]– الأبي ، المصدر السابق ، ج5 ص411.

الاجتماعية التي كان بعضها يتبع العادة الأندلسية والبعض الآخر يتقيد بالعرف الجاري به العمل في المدن التونسية[1]،وهو مثال بليغ على عادات الزواج التي نقلها المهاجرون الأندلسيون، وقد كانوا يعتبرون أنفسهم أرقى ثقافيا من أهل البلاد.

ب. الطلاق:

لقد تذمر البرزلي من السهولة التي يتبناها فقهاء الأرياف الجهال للسماح –مقابل فتوى مدفوعة الأجر– بإرجاع الزوجة المطلقة بالثلاث، كما قضى مفت آخر تابع لمدرسة ابن عرفة، بعد الحصول على موافقة شيخه، بتحريم إعادة تزويج إمرأة مطلقة بالرجل الذي كان قد دفعها للطلاق، وهي حالة متكررة، حسبما يبدو[2]، وبعد ذلك بحوالي مائة سنة أشار ليون الإفريقي إلى أن المرأة في منطقة القبائل الصغرى، كثيرا ما تفر من زوجها لتلتجئ إلى رجل آخر في جبل آخر، وقد كانت تنجر عن ذلك نزاعات مسلحة[3].

هذا ولم تمنع لا معاشرة الجواري ولا تعدد الزوجات من انتشار البغاء في مدينة كبرى مثل مدينة تونس، حيث كانت تعيش بها بغض العاهرات وبعض المتعاطين للواط، كما أكد ليون الإفريقي أن الفاقة كانت تدفع ببعض نساء العامة إلى تسليم أنفسهن بأبخس الأثمان ، وأشار نفس المؤلف إلى فجور الفتيات قبل الزواج في بعض القبائل الرعوية البربرية التي لم يتغلغل فيها الإسلام على أكمل وجه[4]، أما في المناطق الأخرى فقد احتفظت البكارة بقيمتها، كما رأينا، ويصعب إبداء أي رأي حول عفاف النساء المحصنات، إلا أنه ليس من المؤكد يكون لنظام تعدد الزوجات أو حياة الحريم، تأثير فعال على الأمانة الزوجية، أما من الناحية البدنية، فكلما كانت المرأة جسيمة وسمينة، فكلما إعتبرها الناس جميلة ورغبوا فيها[5].

---

[1]– روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص177.

[2]– البرزلي، المصدر السابق ، ج1، ص29

[3]– الوزان ليون الافريقي، المصدر السابق، ج3، ص192.

[4]– الوزان ليون الافريقي، المصدر نفسه ، ج1 ص120.

[5]– روبار برنشفيك ، المرجع السابق ص178.

وقد كانت المرأة حتى في الأوساط الحضرية غير متعلمة، في أغلب الاحيان، وكانت الصبيات اللاتي يترددن على "دار المعلمة" يتعلمن الغزل والخياطة، كما كانت تلك المعلمة تعلمهن بعض التعاليم الدينية،[1]أما عند البدو، فقد كانت النساء في الحالات البالغة الخطورة، هن اللاتي يذهبن مع بعضهن متوسلات، للدفاع عن مصالح القبيلة في الخارج.

ومن الأمور النادرة أكثر من تلك المساعي، السلطة السياسية التي يمكن أن تقوم به علانية امرأة معترف بها لدى القبائل الكبرى، ذلك أن مثال المرأة "شمسي" بالنسبة غلى السكان المستقرين في منطقة القبائل الكبرى، يبدو فريدا من نوعه في ذلك العصر، ولعل ذلك يمثل حسب افتراضنا ،مظهرا قريبا من الحركة الصوفية التي تولدت عنها، على الصعيد الديني الصرف، أكثر من "ولية صالحة " في بلاد المغرب لاسيما الولية الذائعة الصيت، "للامنوبية" التي ظهرت بمدينة تونس في العهد الحفصي، وكثيرا ما كان الناس يخشون النساء ن باعتبارهن ذوات تأثير سيء، إلا أن ذلك لم يكن يمثل الحل الطبيعي، ذلك أن آفاق جميع النساء تقريبا كانت مقصورة على العائلة ن وبالنسبة إلى النساء المستقرات، مقصورة على البيت وباعتبارهن زوجات.

كانت النساء خاضعات للقانون الشرعي المتطابق مع بعض العادات القديمة ،ولحق التأديب البدني الذي كان يتمتع به الرجال ولكن في المقابل[2]،كثيرا ما يحدث أن يعصين أزواجهن ويسيطرن عليهم ويتشاجرن معهم من أجل الغيرة[3]، ولكن كان يقرأ حساب للنساء أيضا وعلى وجه الخصوص، باعتبارهن أمهات، فبذلك الإعتبار، كانت الجواري يكتسبن بعض الحقوق، وكانت الزوجات الشرعيات يحظين بأكبر تقدير، وكن جميعا يتمتعن بأصدق تأثير، ألا وهو تأثير الأمهات على أولادهن، وقد كان الإخوة والأخوات الأشقاء يشعرون فيما بينهم بارتباط أكبر من الذي كان يشعر به الإخوة والأخوات المنحدرون من أب واحد.

وفي إطار العائلة المتعددة الزوجات، لا ينبغي أبدا التنقيص من قيمة ذلك العامل الذي يمكن أن يكون عامل تقارب أو شقاق، ذلك أن الأم تنقل لذريتها كثيرا من مشاعرها الذاتية وأفكارها، فالمشاعر

[1]- مناقب سيدي ابن عروس ، المصدر السابق ، ص201.

[2]- روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص 180-181.

[3]- انظر: مناقب سيدي ابن عروس، ص399.

تتغذى بالأهواء والأذواق الفردية، والأفكار التي لا تكتسي صبغة شخصية كافية، في إطار مجتمع مغلق وعديم الثقافة لا يمكن إلا أن تكون محافظة، بشكل متيقظ وضيق[1].

ويبدو أن المرأة البدوية أحيانا أكثر تحررا من الحضرية ن فهي كانت تختلط بالرجال وتتولى عمليات البيع والشراء ببادية برقة كما أنها تخرج إلى الطريق العام مكشوفة الرأس، وتساهم في العمل الزراعي بمختلف مراحله (حصاد وجني وتربية الماشية) ن وتتولى عزل الصوف ونسيجه ثيابا لأسرتها وتقوم بصناعة بيوت الشعر.

ويبدو أن بعض الأعرابيات كن شغوفات بالصيد حسبما يرويه لنا الجدميوي في ذلك الخبر الذي يبين السليقة التي جبلت عليها البدوية، من ذكاء وفطنة.

على أن هذه المرأة مهضومة الحق في بعض الجوانب، فقد امتنع الكثير من أهل البادية وخاصة من القرى البربرية من إعطاء المرأة قسطها في الإرث، وأشارت المصادر في هذا الأمر أكثر من مرة، ومما قال الغرناطي أن نساء البادية "لا يطلبن ميراثهن من أقاربهن ولا يأخذن الغلة خوفا من قطع رحمها، فإن طلبن، قطعن رحمهن وجفاهن ويصرن بذلك كالمقهورات.

لكن اختلف الأمر بالنسبة للمدينة حيث تمكنت المرأة في الغالب من أخذ قسطها من الميراث،حتى لو أدى الأمر إلى تقد المسألة ومرورها بمتاهات قانونية صعبة، ومعلوم أن فقهاء المدينة تحروا من رسوم أهل البادية ولم يأخذوا بما جاء فيها " لقلة المعرفة وضعف الدين "[2].

II. المبحث الثاني: الآفات الاجتماعية وردود فعل العامة

1. المطلب الأول: الجوائح الطبيعية

تحكمت نزوات الطبيعة وتقلباتها إلى حد كبير في الإنتاج الزراعي وبتالي في استقرار الريفيين أو هجرتهم إلى المناطق الخصبة وقد كانت هذه الآفات الطبيعية عديدة ومتنوعة، وهي في مصنفات العلماء : الجراد والنار والريح والبرد والمطر والعفن والطير الغالب والغبار المفسد والدود والحر والسموم وكل مالا

[1]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص182.

[2]- محمد حسن ، المرجع السابق ، ص797

يستطاع دفعه، ولاشك أن جائحة المطر تتضمن في آن نفسه كثرتها وما ينجر عنها من سيول وفيضانات وقلتها ما يعني ذلك من جفاف.

ومهما كان نوعها فإن الآفات الطبيعية تؤدي إلى تغيير في المعاملات وفسخ عقود الأشرية وقد قسم إلى ثلاثة أقسام:

أولا: ما أتفق على أن فيه جائحة: وهو ما احتاج إلى البقاء في أصوله لانتهاء طيبه مثل : التمر والعنب والزيتون.

ثانيا: ما أتفق على ألا جائحة فيه: كالتمر اليابس والزرع بعد يبسه.

ثالثا: ما أختلف فيه: وهو ما احتاج إلى البقاء في أصوله، لحفظ نظارته كالعنب يشترى بعد تمام صلاحه، والبقول والقسيل والقرط، والأصول المعينة في الأرض مثل الجزر والسلجم والفجل والبصل والثوم[1].

إن الجفاف كان أكثر خطرا من بقية الآفات، إذ مثل المطر حدثا هاما في حياة الناس، أرخو بها فقالوا مثلا سنة النوة،وكثيرا ما تسبب الجفاف في كوارث حقيقية، عندما انعدم المحصول الزراعي، وقد لجأ المزارعون إلى التسلف على أمل إرجاعه في السنة الموالية، مما يفسر مبادرتهم بالحصاد قبل بلوغ الزرع أوانه، كما وقع بإفريقية سنة 679هـ-1280م إذ أجبر الناس على أكل قمح فريكا، ولا يمكن اعتبار الجفاف جائحة إلا إذا أصاب ثلث الإنتاج فأكثر[2]،

وغالبا مايؤدي الجفاف إلى انتقال القبائل من مجالها، وشد الرحلة بحثا عن الخصب، ففي سنة 800هـ أجبر بدور برقة على أكل العشب، والخروج من ديارهم لكن كثيرا منهم فقد من جراء هبوب رياح رملية قوية، وبديهي القول إن صلاة الاستسقاء اقترنت بسنوات الجفاف وضعف الإنتاج، ومما يذكر في هذا الصدد أن بعض العلماء فضل عدم القيام بها، تحاشيا لرد فعل العامة وارتفاع الأسعار[3].

[1]- محمد حسن، المرجع نفسه ،ص 603-604.

[2]- الزركشي، المصدر السابق ، ص45.

[3]- البرزلي، المصدر السابق ، ج2 ، ص292.

زمن الطاعون الجارف :ظهر الطاعون على أشده بعد نحو ستة قرون من الاندثار، وذلك انطلاقا من آسيا لكن نقطة الانطلاق لم يقع تحديدها بصفة مدققة[1].

والأرجح أن الوباء ظهر ببلاد الصين، وتحديدا حول بحيرة بالكاش شمال منغوليا، ومنها تسرب عبر الطريق التجاري إلى بحر قزوين فالقسطنطينية، وصولا إلى الموانئ المتوسطية[2].

وهكذا فقد إكتسح الطاعون المدن الساحلية أولا، ومنها تسرب في كل الاتجاهات بنسق معتدل انطلاقا من ميناء الإسكندرية، مفضلا الانتشار في فصل الحرارة فيما اختفى في فصل الشتاء، مما يجعلنا نتوصل إلى نتيجة أولية، وهي أن المدن الساحلية والتجمعات السهلية الموجودة على الطرق التجارية بإفريقية كانت أكثر تضررا من الجبال المنعزلة والواحات الصحراوية ومجالات القبائل البدوية النائية التي ظلت خزانا بشريا هاما، بمعنى أن الوباء حرف أساسا المناطق ذات النشاط التجاري الفاعل والكثافة السكانية الكبير[3].

هاجس الخوف:ويتضح لنا عدم دقة التعريفات واختلافها، فهو ورم عند البعض وقرحة أو ذبحة قاتلة، أو تآكل لأعضاء الجسم كالجذام عند البعض الآخر، مما يدل على أنها خلطت أحيانا بين الطاعون وبقية الأوبئة، ولعل ذلك يفسر بكون أصحاب هذه التعريفات عاشوا قبل القرن الثامن هجري أي في فترة لم تعرف انتشاره[4].

ومما لاشك فيه أن الصورة أدق لدى الذين عايشوه، من أمثال ابن خاتمة الأندلسي الذي عرفه بكونه " مرض عام للناس قتال غالبا عن سبب مشترك ".

ولم يكن الطاعون الجارف يمر دون أن يلقى اهتمام النخبة المتعلمة فحيرت فيه الوسائل وكثرت حوله المصنفات، أولها رسالة ابن خاتمة الأندلسي المسماة " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" وذكر فيها أحكام الطاعون طبا وشرعا، وأشار إلى الإجماع حول التداوي بالطب.

---

[1]- ابن بطوطة، الرحلة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط1 ،دار الكتاب العلمي ،بيروت ،1991 م ، ص120.

[2]- محمد حسن ، المرجع السابق، ص605.

[3]- الزركشي، المصدر السابق، ص147.

[4]- محمد حسن، المرجع السابق، ص606.

ولذلك يمكننا القول أن هاجس الوباء كان له انعكاس على الإنتاج الفكري والثقافي لذلك العصر، فضلا عن التأثيرات الاجتماعية والسلوكية والديمغرافية والاقتصادية وغيرها[1].

الوهن الديموغرافي :بدءا بالطاعون الجارف، أصبحت حركة الوباء تجتاح بلاد المغرب بصفة دورية، بعد كل عشرة أو خمسة عشر سنة في المتوسط[2].غير أن هذه الهجومات الوبائية اختلفت قوة وضعفا حسب الظرفية، وقد تفطن المعاصرون لذلك حتى أنهم فرقوا بين الوباء الذريع وهو الذي يذهب بكثير من الناس مثل النصف أو الثلث، والوباء الخفيف ذو الانتشار المحدود.[3]

وما أن ظهر الطاعون الجارف، حتى بدت عواقبه الوخيمة جلية وشملت كل مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية والسياسية والثقافية وغيرها.

التأثير الديموغرافي : مما لاشك فيه أن الطاعون سنة 748هـ شمل كامل بلاد المغرب بمدنها وأريافها، وعم الموت أرض إفريقيا بأسرها[4]، وفي سنة 758هـ-1453م، انتقل السلطان الحفصي إلى توزر، حتى يكون في مأمن من الوباء الذي حل بتونس وبتالي كانت البلاد الساحلية وخاصة مدينة تونس من الجهات الأكثر تضررا، نظرا إلى قوة الكثافة السكانية بها، وبلغ عدد الموتى بالحضر يوميا 1000شخص[5].

ومن الملاحظ أن رقم 1000بالنسبة إلى مدينة تونس ذكر مرة ثانية سنة 788هـ طيلة عدة أشهر إذ قال البرزلي:" في ذي القعدة ابتدأ الوباء بتونس، ولم يزل يتزايد إلى شوال من عام 873هـ، حتى بلغ 1000 كل يوم، إذا أخذنا بقول ابن أبي دينار فإن عدد الموتى بلغ 14 ألف كل يوم، حتى وقع إحصاء نحو 400ألف، إضافة إلى مائة ألف أخرى لم تدخل الإحصاء [6].

[1]- محمد حسن، المرجع السابق ، ص606.

[2]-الوزان ليون الافريقي ، المصدر السابق ، ج1، ص68.

[3]- البرزلي، المصدر السابق ، ج2، ص292.

[4]- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج2، القسم 3، ص777.

[5]- ابن أبي دينار، المصدر السابق ، ص147، ورد رقم الألف بالنسبة لتونس، في ابن خلدون، التعريف، ص 19.

[6]- الزركشي، المصدر السابق، ص158.

ونقتصر في هذا الصدد على بعض الإشارات العامة التي تشير إلى خلاء البادية من أهلها حتى بقيت أموال الأعراب سائبة لاتجد من يرعاها من جهة، وإلى هجرة بعض القبائل العربية الأخرى من إفريقية إلى الأندلس طمعا في الأموال، لكنه لم ينج منهم إلى القليل ومات أكثرهم بالوباء[1].

التأثير العمراني والاجتماعي : أصاب العمران ماحل بالعباد والاقتصاد فخلت المنازل، واندثرت عدة قرى وخاصة بالبلاد الساحلية، ونعتقد في هذا الصدد أن انقطاع الخبر عن عدة قرى مرده هذه المجاعات والأوبئة، التي فتكت بتجمعات سكنية بأكملها وأجبرت من تبقى منها على شد عصا الترحال والفرار، ولا يستبعد أن يكون هذا العامل هو العامل الأساسي في التراجع الحضري لبلاد افريقية، وحسبنا في ذلك شهادة ابن خلدون[2].

ولم يقتصر الأمر على القرى فقد أهملت العمائر المخزنية بمدينة تونس وتحولت بعض الأحياء والأرباض إلى خرائب[3].

أما على المستوى الاجتماعي فإن عددا كبيرا من الحرفيين قد هلك، فانحصرت المهن والصنائع داخل المدن، وأهملت المزارع و الغروس، وهو ما يفسر اقتران الطاعون بالجوع، فقد اشتد الغلاء سنة 749هـ، أي بعد سنة من دخول الوباء حتى بلغ قفيز القمح ثمانية دنانير[4].

وابتداء من تلك الحقبة أصبحت إفريقية تشكو من نقص في عدد المزارعين وعمال الفلاحة، حتى أهملت كثيرا من الأراضي وأصبحت بورا، وإذا كانت الفئات الشعبية أكثر تضررا من غيرها، فإن المتفحص في قائمة الوفيات من العلماء والخاصة يلحظ أن الطاعون لم يستثنيهم [5].

2. المطلب الثاني: ردود فعل العامة أثناء المجاعات:

أ. الحركات الشعبية :

[1]- المقريزي ، المصدر السابق، ج2، ص777.

[2]- محمد حسن، المرجع السابق، ص612.

[3]- البرزلي، المصدر السابق، ج2، ص264.

[4]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص147.

[5]-الوزان ليون الافريقي ، المصدر السابق، ص66-67.

في أواسط القرن السابع هجري حل بمدينة تونس جوع ناجم عن نقص في الإنتاج الزراعي، وارتفاع أسعار الحبوب حتى بلغ القفيز من القمح عشرين دينارا ومن الشعير عشر دنانير، "وأصاب الناس هول عظيم حتى صاروا يموتون في الأسواق والأزقة"[1].

ومن المعلوم أن هذه الأزمات الدورية تتعاقب حسب نسق متفاوت في ارتباط مع تطور الظروف المناخية خاصة، والظرفية التاريخية عامة، فبعد ست سنوات من الطاعون الجارف الذي شمل عديد البلدان المتوسطية، عاود شبح المجاعة وخيم من جديد على مدينة تونس سنة 755هـ -1354م، ومرة أخرى ارتفع سعر الطعام بالمدينة حتى بلغ القفيز من القمح 11دينارا ذهبا والشعير إلى نصف ذلك.

ففي سنة 862هـ-1457م ارتفعت أسعار الحبوب بتونس حتى بلغ قفيز القمح 4دنانير ذهبا والشعير نصف ذلك، "فشكى الناس قلة الطعام وغلائه للسلطان، فأمر بأن يخرج من المخزن في كل يوم ما يصنع منه ألف خبزة وتفرق على الفقراء بتونس، فبدأ بتفريقها في ثالث ربيع الثاني ودام إلى رجب حتى كثر الطعام ورخص ثمنه"[2].

ويرجح أن الكوارث الطبيعية لم تؤدي إلى رد فعل حقيقي للعامة، أما الأزمات الاقتصادية الناجمة عن سياسة اللاشعبية للسلطة، فكثيرا ما تدحرجت إلى السفح، متحولة بذلك إلى اضطرابات اجتماعية، ومثال ذلك الرد الشعبي على العملة المغشوشة التي ضربت سنة 660هـ-1262م، ذلك أن العملة الفضية عرفت تراجعا في قيمتها، تفسره عوامل خارجية مرتبطة بتدني بطيء لقيمتها ابتداء من القرن 13م إلى حد القرن 15م بالمدن الأوروبية المتعطشة للذهب الإفريقي المتوفر لها مقابل تصديرها للفضة إلى بلاد المغرب[3].

[1]- مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق، د، الهادي التيمومي، شركة أوريس للطباعة، تونس بيت الحكمة 1999. ص230.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص95-150.

[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص658 .

فقد أصرت الفئات الشعبية على التخلص من هذه النقود النحاسية التي أحدثها السلطان المستنصر بالله الحفصي، "وأعلن الناس بالنكير في شأنها وتنادوا بالسلطان في قطعها وكثر الخوض في ذلك وتوقعت الفتنة"[1].

وفعلا حاول ابن عم السلطان أبو القاسم بن أبي زيد القيام عليه، مستغلا في ذلك الظرفية الاقتصادية، وهكذا أضيفت الى الصعوبات الاقتصادية تعقيدات سياسية وتوترات اجتماعية، مما جعل السلطة المخزنية تتراجع في قرارها وتقطع نقود الحندوس بعد ستة أشهر من ضربها وبهذا تم القضاء على الحركة في مهدها.

أ-1 حركة ابن أبي عمارة :

شهد حكم أبي إسحاق 679هـ-681هـ أخطر حركة هددت كيان الحكم الحفصي، متزامنة مع استفحال ظاهرة الجوع في البلاد [2].

عرفت افريقية سنة 678هـ نقصا في الإنتاج الفلاحي، يفسر بلجوء الناس إلى أكل القمح فريكا في ربيع السنة الموالية، لكن هذه الأخيرة لم تسلم من كارثة طبيعية حلت بها قبيل الحصاد، فأدت إلى فساد الزرع وإتلافه ، والى إتلاف الماشية معه[3]. وفي السنة الموالية من هذا الحدث قامت حركة ابن أبي عمارة.

وقد تطورت الضرائب في خط مواز لتطور الإنتاج، فإذا كان الواثق قد أمر برفع المظالم، ومحا رسوما ووظائف كانت على الناس، فإن أبا إسحاق إبراهيم اتبع سياسة لاشعبية في هذا المجال، تميزت بالإسراف في زمن الشدة، " فزاد في العوائد ليجد الراحة في لذاته بعدم تقدم غزواته، وقلت المجابي في أيامه وكثر الإخراج والإنفاق" [4].

وليس صدفة أن يتزامن ظهور هذه الحركة مع بداية حملة لجمع الضرائب، شملت وطن هوارة في غرب البلاد ، وقد بادر إبن أبي عمارة عند دخوله مدينة تونس إلى رفع ضريبة الإنزال عن السكان، وذكرت

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ص659.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق ، ص232-234.

[3]- الزركشي، المصدر السابق، ص45.

[4]- مجموعة من الباحثين ، المرجع السابق، ص234.

له معظم المصادر هذه الخصلة، باستثناء ابن خلدون وهو أمر له مغزاه لأن جده أبا بكر ابن الحسن ابن خلدون كان وقت ذاك صاحب الأشغال المشرف على الجباية،وقد قام ابن أبي عمارة بقتله[1].

ويبدو أن سياسة أبي إسحاق إبراهيم الاجتماعية كان لها دور فاعل في ازدياد التوتر الاجتماعي داخل المدن الإفريقية، إذ " استولى العرب في أيامه بتونس على القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم، وهو أول من كتب البلاد الغربية للعرب بالظهائر ".

التوسع القطلاني:إلى جانب الأوضاع الاقتصادية الدخيلة، كان للتوسع القطلاني دور في ازدياد القطيعة بين السلطان والعامة، ذلك أن مجيئ أبي اسحاق ابراهيم للحكم كان بدعم من الملك " بيار الثالث " ملك الأراقون ، الذي سانده لإفتكاك السلطة من إبن أخيه الواثق، متطلعا من وراء ذلك إلى بسط نفوذه على البلاد وزيادة حجم العائدات التجارية، ولئن خيب أبو إسحاق هذه الآمال فيما بعد، فإن ذلك لم يثن القطلانيين عن معاودة التدخل في شؤون افريقية سنة 679هـ، مساندة لقائد قسنطينة الذي ثار على أبي إسحاق، وقد انتهت هذه المناورات باحتلال السواحل الإفريقية وبالخصوص جزيرة جربة سنة 683هـ.

وفي الأخير فإن اعتماد أبي إسحاق على القطلانيين في بداية أمره يعتبر خطأ سياسيا قد أدى إلى فتح الأبواب على مصراعيها لتغلغل النفوذ الاقتصادي والسياسي للأراقون، وقد أثار هذا الأمر سخط الشعب وتذمره، فكان " الناس على تزلزل لأجل سطوته وانقطاعه إلى شهوته "[2].

الاستبداد السياسي:واجه السلطان التوترات الاجتماعية والصراعات السياسية للتخلص من خصومه فنكل بهم وقتلهم الواحد تلو الآخر، حتى كثر أعداؤه، وشملوا كل التكتلات السياسية في البلاط وخارجه، ففي سفر سنة 679هـ قام بقتل الواثق وأبنائه الثلاثة (الفضل والطاهر والطيب) بعد أن علم أنه اتصل بقائد النصارى الذي يمثل الحرس الشخصي للسلطان للتخلص منه[3].

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6 ، ص686-692..

[2]-ابن قنفذ ، المصدر نفسه، ص138-139-140.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص236.

وفي سنة 680هـ كانت نهاية عبد الرحمن ابن ياسين المعروف بابن أبي الإعلام، وفي العشر الآخر من شوال 681هـ قتل أبا محمد عبد الوهاب الكلاعي المتهم في السعايا بإبن سيد الناس واستخلص أمواله[1].

ونظرا لسياسة الاستبداد المتبعة من طرف أبي اسحاق ظهرت حركة عصبية قبلية على رأسها حرفي، لكن بدون إيديولوجية :ولد أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة بمسيلة سنة 642هـ ونشأ ببجاية، واذ ذكر ابن قنفد أنه كان "خامل النشأة كثير التطور "، فإن ابن خلدون اعتبره من " بيوتات بجاية الطارئين عليها من مسيلة، ونشأ ببجاية وسيما محترفا بصناعة الخياطة[2].

بدأت هذه الحركة في 4محرم سنة 681هـ عندما التقى الفتى نصير بابن أبي عمارة، ولقنه الدور الذي يجب أن يقوم به لادعاء الانتساب إلى البيت الحفصي، باعتباره الفضل بن الواثق، وتعتبر بيعة أولاد دباب له ومناصرته الحدث الفيصل الذي كان بمثابة البداية الحقيقية للحركة التي شرعت في محاصرة مدينة طرابلس، ولما استعصت عليهم تحول بنو دباب إلى ناحية المدينة، واستوفوا المجابي من زنزور وهوارة، ومن لمايا وزواوة، وأخيرا من جبل نفوسة وغريان، ولم تتطلب هذه المرحلة إلا بضعة أشهر[3].

على أن هذه الحركة لم تكتسب عصبية قوية إلا بإلتحاق قبيلة بني كعب بها، ومسارعة سائر المدن الاعتراف بسلطة ابن ابي عمارة، وما انفكت دائرة نفوذه تتسع في حين ان جيش أبي إسحاق إبراهيم القادم من تونس مرورا بالقيروان ما انفك يتقلص عدده، وماكاد يصل بلد قمودة حتى تسلل عنه الكثير وأجبر على إتباع طريق العودة، وتمكن إبن أبي عمارة من دخول وسط البلاد وإخضاع المدن الساحلية والقيروان دون مقاومة حتى وصل مشارف تونس[4].

أ-2 مساندة العامة لحركة بن أبي عمارة:

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص682-684.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص238.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6 ص690.

[4]- الزركشي ، المصدر السابق ، ص47.

دخل ابن أبي عمارة تونس في 27 شوال 681هـ وبويع بها ومما يدل على مدى تعلق العامة بهذه الحركة هو شدة ازدحامهم حول باب منارة، عند دخول إبن أبي عمارة حتى توفي عدد منهم في هذا الازدحام [1].

بعدما استتب له الأمر قام بالتنكيل برموز السلطة السابقين، فبادر بقتل صاحب الأشغال أبي بكر بن الحسن بن خلدون، ثم قبض على أهل البيت الحفصي واعتقلهم وهم بقتلهم واستئصال أموالهم، كما أمر بإزالة ضريبة الإنزال، وهو أهم إجراء لفائدة الفئات الشعبية، واكتسابا لمودة الأرستقراطية التقليدية، أمر بضرب مصالح التجار الأوروبيين بالمدينة، وذلك بهدم الفندق الذي يباع فيه الخمر بباب البحر.

لقد رفضت العامة الانصياع لكلام قاضي المدينة عبد المنعم بن عتيق الذي كان يدعو الناس للاعتراف بسلطة بني حفص، بل إنها قتلت ابنه وقامت بترحيله بحرا، وقدمت عليها محمد بن سرغين قائما بطاعة ابن أبي عمارة[2].

أما الأمير الحفصي أبو زكريا، فإن العامة قد لاحقته عند هروبه، وقتلته، "ثم رفع رأسه إلى تونس وطيف به على عصا في الأسواق والسفهاء يضحكون والنساء يولولن".

إن هذا الأمر يدل على مدى تجاوب العامة مع سياسة ابن ابي عمارة في المدينة، لكن سرعان ما تراجعت هذه الحركة بسبب فك الترابط مع البدو ن غذ لم يمض أكثر من 25 يوما على دخوله تونس حتى سارع على التخلص من العرب ن فأخذ أمراءهم وكانوا نحو ثمانين رجلا وأودعهم السجن[3].

إن التنكر لأنصاره في السابق واختياره للحل الأسهل، وهو المحافظة على الأمر الواقع مع منح بعض الامتيازات للعامة بالمدينة، كان إيذانا بانفصال البدو عنه والسعي لمحاربته، بعد أن خيبت آمالهم فيه، إن هذا الانقلاب في خطة ابن أبي عمارة يدل على مدى تذبذب الحركة، التي اعتمدت على البدو دون أن تسعى إلى تمثيل مصالحهم، بل إنها أبقت على الشرعية السابقة ولم تتمكن من تغيير جوهري في مستوى

[1]- الزركشي، المصدر السابق ، ص47.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 693-694.

[3]- الزركشي، المصدر السابق ، ص 47-49.

الهياكل الاجتماعية والسياسية[1] ،وفي المقابل لم يغضب البدو فقط، بل فئات أخرى من المجتمع الحضري بدأت تنفصل عنه تدريجيا[2].

فقد وصفته المصادر بشتى النعوت السيئة :فقد كان يقطع المنكر ويرتكبه، قتالا، ظالما خسيسا بخيلا فاجرا كذابا مخلفا للوعود[3].

والظاهر أنه أغضب أيضا النصارى، إذ فضلا عن غلق فندق الخمر بالمدينة، فإنه عمد إلى سجن أكثر من 180 فارس من العلوج النصارى الوافدين أساسا من بلاد الأراقون، وبالتالي فلا نستبعد تدخل هذه الدول الأوروبية التي سبق لها أن تدخلت عديد المرات في شؤون البلاد، للتخلص من تعنت ابن أبي عمارة[4].

ورغم مناصرته للفئات الشعبية بالمدينة، فإن السياسة الصلبة التي اتبعها جعلت عديد القوى تناجزه العداء ، من نصارى وحفصيين وبالخصوص الأعراب الذين ساعدوا أبا حفص عمر لاسترجاع سلطة بني حفص ، وقامت بأمره قبيلة الكعوب حتى وصوله للحكم، وكانت نهاية ابن أبي عمارة –مثل بدايته– في منزل من منازل الحرفيين، إذ أيقن بالهلاك، اختفى قرب الصفاريين عند بعض السوقة، في بيت رجل فران وهو أبا القاسم القرموني في 23ربيع الآخر 683هـ[5] ،وقد تم القبض عليه ،وقتل بعد التنكيل به، فطيف بجثته على حمار وجر إلى السبخة، وطيف برأسه على عصا، واعتبرته جل المصادر مغالطة حتى قال ابن الخطيب :غريبة من لعب الليالي/ما خطرت لعاقل ببال[6]،لكن دلالته قوية :فتململ المجتمع الحضري ووعي الحرفيين بمصالحهم لم يرتق إلى درجة متطورة تجعله قادرا على الإمساك بزمام السلطة والتحالف بين البدو والحضر مازال في بدايته[7].

---

[1]– مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص244.

[2]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص695

[3]– ابن قنفد ، المصدر السابق، ص144-145.

[4]–عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص695-696.

[5]– مجموعة من الباحثين، المرجع السابق ، ص245.

[6]– الزركشي، المصدر السابق ، ص47.

[7]– مجموعة من الباحثين ، المرجع السابق، ص245.

الفصل الثالث: دور المنشآت في النشاط الثقافي والاجتماعي للعامة

I. المبحث الأول: النشاط الثقافي للعامة حفصية في تونس

1. **المطلب الأول: الزوايا والمدارس**
2. **المطلب الثاني: العادات والتقاليد للعامة التونسية**

II. المبحث الثاني: المنشآت الاقتصادية والثقافية

1. **المطلب الأول: الأسواق والمعاملات التجارية**
2. **المطلب الثاني: الفنادق، الحمامات، الحانات، القيساريات والدكاكين والحوانيت**

I. المبحث الأول: النشاط الثقافي للعامة الحفصية في تونس

1. المطلب الأول: الزوايا والمدارس

وقد وافق إنشاء المدارس تعمير المدينة وأرباضها نتيجة إزدياد سكانها وهجرة العديد من المجموعات إليها اذا كانت الزوايا قد تموضعت في الغالب عند أبواب المدينة وخارجها لاستقبال الوافدين والغرباء من أهل البادية وطبقة العامة على المدينة، فان المدارس شيدت داخل الأسوار وخصصت لفئة الضيقة من الشيوخ والطلبة الوافدين على المدينة من سائر بلاد افريقية والمغرب: فقد تولت المدرسة تأطير الطلبة الوافدين من البادية، رغم قلة عددهم فيما اعتلت الزاوية بالجانب الاجتماعي والتصوفي.[1]

أ. الزوايا الموجودة داخل المجال الحضري:

زاوية أبي عمران موسى بن يحي الأنصاري: انتقل صاحبها إلى مصر حيث شغل خطة التدريس لدى بعض الأسر الأيوبية، ثم عاد إلى مدينة تونس في أواخر القرن 6هـ حيث أسس زاوية بها قرب قصر السباغين بباب الجزيرة وكان يفد عليها البؤساء والجياع بحثا عن القوت.

- **زاوية مبارك العجمي**:يرحل بدوره إلى المشرق ثم استقر عند عودته إلى تونس بريض السعود قبله لباب المنصور إلى حد وفاته سنة 695هـ 1295موكانت الزاوية ملجأ للجند الفارسين من الخدمة العسكرية والجائعين.
- **زواية الزبيديين**: نسبة الى الزبيدي، إلتجأ إليها الحاجب أندلسي الأصل ، ابن الدباغ على إثر أحداث سنة 710هـ/1310م.
- **الزاوية القريبة من سيدي محرز**: ظهرت داخل الأسوار الأولى في عهد أبي عمرو عثمان ونزل بها العامة الأندلسيون من أهل بسطة.

[1]-محمد حسن، المرجع السابق ، ص،181.

● **زاوية أحمد بن عروس** :تأسست داخل المدينة النواة، مكان فندق للسكن وقد كان يفد عليها المهاجرون الأندلسيون، عند قدومهم ، في القرن 9 هـ.

● **زاوية علي السفاج**: هو علي بن أبي زيد عبد الرحمان بن عبد الواحد الأنصاري رحل إلى المشرق طالبا للعلم، وأستقر عند عودته خارج الباب الجديد بزنقة الغنم وهناك كان له أكثر من لقاء مع أفراد الجالية الأندلسية وخاصة العامة منهم في سبعينات القرن 7 هـ.[1]

كما كانت الزاوية كفضاء يجتمع فيه الأخوان والفقراء على شيخ من الشيوخ كما هو الحال بالنسبة لزاوية المغربي وزاوية المرجاني وأيضا زاوية الزبيديين.

أما النشاط الصوفي للزاوية في تربية المريدين والتلاميذ وتنظيم مجالس الذكر والتدريس كما كانت الزاوية مؤسسة صوفية بكل معنى، أي فضاء يتربى فيه مريدوه[2].

ب. العامة وازدياد البؤساء بالزوايا:

غالبا ما كان وضع الفقراء الاجتماعي مقترنا بالمدلول الصوفي لمفهوم الفقير، إذ سيطر عليهم الفقر المدقع إلى حد تهميشهم في العلاقات الإنتاجية السائدة، والظاهر أن الكثير منهم كان من المجموعات المهمشة من البدو التي لا تملك موارد رزق كافية ولم تتمكن من الإستقرار والاشتغال بالفلاحة، وبلغ عدد فقراء سالم القديري عند ذهابه إلى الجريد لزيارة شيخه أبي هلال السدادي أربعين.

وقد انظم إليهم في الطريق بقمودة ثلاثون أخرون، وأثناء هذه الزيارة قلده السدادي، مشيخة الفقراء، ثم أكثر أتباعه وتوافد عليه العاطلون عن العمل من ناحية مهدية وبالخصوص من منزل بني معروف وكان يتحول بنفسه إلى هذه القرى لإختيارهم وكان من بينهم أبو عمار المعروفي الذي أصبح المتصوف في الزاوية وهكذا تطور تدريجيا وصل نحو الثلاثة مائة بزاوية منزل.

وليس صدفة أن ينتمي أغلب هؤلاء المعوزين إلى المناطق الحضرية الموجودة في أطراف المدينة والتي إضطربت فيها الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية[1].

---

[1]– محمد الحسن، المرجع السابق، 183.

[2]– نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي ، ط1 ، دار الفارابي بيروت لبنان 2001 ، ط2 2006 ، ص144

وكثيرا ما التجأ هؤلاء البؤساء الى ظاهرة الاستنجاد والطلب ولم يسلم منها أحد المشائخ وهو أبو عفيفة صالح الصدفي بحيث يقوم المتصوفة بجمع هذه الإتاوة من الأرياف والمدن سنويا، وكان بعض المشائخ يستنجد لهؤلاء بنفسه.

كما توفر الصداقات الوافدة على الزوايا موردا هاما وقد تكون مرتبطة بحدث ما،أو عطاء موسمي او بطريقة غير منتظمة[2].

كما كان للزاوية الصوفية رواد الذين يزورونها لقضاء حاجة أو يرد عليها عرضا أو بصفة مؤقتة أو تقع إضافتها فيها لما انطلت الزوايا بوظيفة التدريس وأصبحت أقرب إلى المدرسة منه إلى الزاوية الصوفية.

فان هذا انعكس على الطبيعة الإجتماعية لروادها أو نزلائها بحيث يزدحم على أبواب الزوايا جمهور من طلبة العلم وقراء القرآن الذين سوف لن يغيرهم شيء عن نزلاء المدارس وروادها ، وللزاوية الصوفية علاقة بالطبقة العامة والفقراء فقد عرف ابن خلدون ذلك "فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة وأصبحت معاشا للفقراء من الفقهاء الصوفية.[3]

ج.**المدارس:**

يرجع تاريخ عدد كبير من هذه المدارس إلى الفترة الممتدة بين أوائل القرن 7ه وأواسط القرن 8ه، وقد بلغت نسبتها أكثر من نصف العدد الإجمالي، وهي على التوالي :

-المدارس الشماعية (تأسست بين سنتي 634ه-647ه 1236-1249م

-والتوفيقية 651ه – 1261م

-العصفورية 669ه-1270م بعد وفاة ابن عصفور

-المغربية 689ه-1299 م/ 689ه – 1290م بعد وفاة محمد المغربي

-والمرجانية نسبة إلى عبد الله المرجاني المتوفى سنة 638 ه -1240م.

-مدرسة إبن برطلة ومدرسة قرب مسجد الشرابين والمدرسة المعروفة بالقاضي التوزري.[4]

---

[1]- الدباغ ، المصدر السابق ، ص52-53.

[2]- إعداد مجموعة من الباحثين ، المرجع السابق ، ص323.

[3]-نللي سلامة العامري ، المرجع السابق ، ص196.

[4]- محمد حسن، المرجع السابق ، ص 181.ينظر:العبدري الرحلة، ص 263.

كما أنه عندما يصل الولي إلى درجة التصوف، فانه ينعزل و قليل ما يشترك مع بقية الناس في هذه الحياة الدنيا المضطربة والتي لا طائل من ورائها، وإذ لم يتجول في الأرياف أو الشوارع أو المدن لتعليم الناس بأقواله العرافية أو بمظهره، فانه ينعزل في خلوة، ويقيم فيها فيما بعد ضريحه ذاته وتلك هي "الزاوية " لأن الزاوية عوضت الرباط القديم فان صاحبها الذي بقي في نظر الخدمة الزعيم الأمثل للعقيدة المناضلة فقد احتفظ بتلك التسمية القديمة بليغة المعنى وهي " المربط"[1]

-كما أن الفقراء أو طبقة العامة كانوا يمثلون حاشية الولي أو أتباعه ويطلقون على أنفسهم الفقراء، ويلتفون حول الشيخ مجموعة الإخوان وتنتهز فرصة الجلسة العامة أو الخاصة المنتظمة على نطاق واسع أو ضيق وتعرف باسم الميعاد لإلقاء بعض الدروس النظرية أحيانا، ولكنها تتمثل عادة في بعض التمارين الروحية .

-فنحن نتصور حينئذ أن الطرق الصوفية كانت تمثل في نظر الخاصة والعامة قيمة روحية ومادية في نفس الوقت فلا غرابة إذا ما رأى أقطاب تلك الخرجة بعض الناس يتوافدون عليهم وقت الشدة ويغمرونهم بعطاياهم وكثيرا ما تقبل بعض المجموعات من السكان المستقرين أو الرحل، وحتى بعض الجماعات من البدو، تسديد ضريبة[2].

2. المطلب الثاني: العادات والتقاليد للعامة التونسية

وكان التنوير عن طريق المصابيح المصنوعة من الطين إضافة إلى الشمع، واستخدموا عود"الثقاب"المصنوع من الكبريت، لإيقاد النار.

وكان لهم عادات في الاحتفال بالأعياد ويصف ابن بطوطة حال سكان تونس في يوم العيد، فيقول: "وكان يوم العيد يتجمل الناس ويلبسون أجمل الملابس، ويخرج السلطان راكبا ومعه أقاربه وخواصه وخدم مملكته مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب، فيستمعون للخطبة ثم ينصرفون إلى منازلهم ".

وكان الناس يخرجون إلى ضواحي مدينة تونس، حيث يحتفلون بأيام العيد بصناعة الأطعمة المختلفة كالخبز، والكعك والحلويات كالمقروض والزلابية وغيرها ، وكانت أيام العيد تستمر خمسة عشر يوما.

[1]-روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص 340.

[2]-روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص 356

وكانت لهم أيام مشهورة منها يوم عاشوراء (العاشر من محرم) وهو يوم مشهور في تونس، حيث ينفق الناس الأموال الباهظة في الاحتفال به ، فيزين الناس الحوانيت التي تباع فيها الفواكه، وتقام الأهازيج والأغاني المصاحبة بالات الطرب المختلفة، ويحرص الآباء على شراء العاب مختلفة لأبنائهم ويوسعون عليهم في النفقة، كما كان لهم سوق يعرف بإسم هذا اليوم وهو سوق عاشوراء[1]، بالمنستير يخرج إليه الناس لشراء ما يحتاجونه في مثل هذا اليوم، وكانوا يخرجون زكاة أموالهم في يوم عاشوراء، وأيضا يوم التاسع من المحرم يحتفلون به ويواظبون على أكل الدجاج والأطعمة المصنوعة منه مثل (الدويدة) ويكثرون من الإنفاق فيه.

ومن الأعياد المبتدعة في المغرب الإحتفال بالمولد النبوي (أي الثاني عشر ربيع الأول) وأول من سن هذه البدعة[2] ، في بلاد المغرب السلطان المريني أبي عنان، ثم نقلت هذه العادة إلي سلاطين بني حفص وتحديدا في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز (أي في بدابة القرن 14م) ثم سار بقية السلاطين على أثره .

وفي هذه الليلة يتم إحتفال عظيم تنشد فيه الأشعار التي قيلت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وتوقد القناديل وتصنع الأطعمة الفاخرة وتوزع الصدقات من قبل السلطان والأثرياء على الناس، وتكون هذه الليلة بالغة الأهمية (لنقيب الأشراف) حيث يتوافد إليه الناس من كل مكان ويجتمع لديه الفقهاء والعلماء لقراءة القران والأناشيد، ويستمر الإحتفال بالمولد النبوي خمسة عشر يوما.

ويكون (لنقيب الأشراف) عادة يأخذها من السلطة الحفصية طوال أيام الاحتفال من زيت وشمع ونحوه[3].

[1]- روبار برنشيك، المرجع السابق ، ص 357.

[2]- **البدعة:** في اللغة : كل شيء احدث على غير مثال سابق سواء أكان محمودة أم مذمومة وهي مأخوذة من بدع الشيء يبدعه إذا أنشاه ة اخترعه، وفي الاصطلاح : كل ما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكان محمودا أو مذموما . عبد الرؤوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الأتباع والابتداع ، ص 210 ، انظر الملحق رقم (02) ص 95.

[3]- جميلة مبطي المسعودي ، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص ، رسالة ماجيستير ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2000 م ،ص156-157.

ولهم تعظيم كبير وتقاليد إسلامية للاحتفال بالنصف من شعبان منها أن ليلة السابع والعشرين منه لذكرى الإسراء والمعراج، فكان السلطان إذا دخل رجب هلل وكبر وقال (لا إله إلا الله دخل رجب).

كما يعتبر أول ماي عيد من أعيادهم، يكثرون فيه من إنفاق الأموال وصناعة أنواع خاصة من الطعام مثل المرقاز ، الذي لا يكاد يخلو منه بيت في تونس في مثل هذا اليوم، ويكثر الناس من شراء النباتات والبقول مثل النارنج والحلو والليمون، والحشائش، وخاصة الخس الذي يزينون به منازلهم حتى انه يباع بمقدار كبير جدا ربما بقدر ما يباع خلال السنة بكاملها، وكعادة أهل تونس يستمر احتفالهم بأول ما يخمسة عشرة يوما ، ولا نعلم السر في تقدير عدد أيام الاحتفال بالأعياد في إفريقيا، وفي أول ماي أيضا يخرج أهل الخلاعة والمجون عند باب الخضراء، ويكثرون من الأغاني الماجنة والخلاعة والشعوذة، ويرى ابن أبي دينار أن السبب في الاحتفال بهذا اليوم يعود " لان غالب سننهم يطيب فيها زرعهم وتخرج الحياة إلى أطراف البلاد . وكذلك حماة ثمار تظهر في هذا الشهر وأهل تونس يقولون تظهر يوم ماي سبع غلال "[1].

وكان لهم عادات في استقبال شهر رمضان المبارك، فالكثير منهم يفضل الاعتكاف طوال هذا الشهر، وكانت في الجوامع أبواق للإعلان عن موعد الإمساك أو الإفطار، كما واظب أهل إفريقيا كغيرهم من المسلمين على إقامة صلاة التراويح طوال الشهر الكريم، وأضافوا ختم صحيح البخاري إلى ختم القران الكريم، وفي آخر هذا الشهر العظيم يقوم الإمام بالدعاء والابتهالات في جمع عظيم من الناس .

أ. السكن وما يتبعه من نشاط اجتماعي عمراني:

تتضح في السكن الحفصي معالم النشاط العمراني للمجتمع الإفريقي، وإفريقيا كغيرها من الأمم عرفت أنماطا مختلفة من المساكن القديمة كالخيمة والكوخ، بل أن العرب في العصر الحفصي كانوا يسكنون الخيام المصنوعة من الوبر والصوف التي يسهل عليهم هدمها عند سفرهم لغزواتهم وحروبهم.

[1]-جميلة مبطي المسعودي ، المرجع السابق ، ص157.

وكذلك كان أهل جزيرة جربة يسكنون أكواخا من القصب، وكان سكان الأرياف يقيمون في أخصاص النخيل، والبعض ينحتون من الجبال مساكن يحتمون بها . وكانت هذه المساكن غالبها لأهل الأرياف والبدو الرحل، ولكن أهل المدن[1].

II. المبحث الثاني: المنشآت الاقتصادية والثقافية

1. المطلب الأول: الأسواق والمعاملات التجارية

فهناك الأسواق اليومية الدائمة والتي تزخر بها مدن افريقية وتنقسم تلك الأسواق إلى قسمين، أحدهما للصناعات اليدوية حيث يشتغل فيها أربابها بتحويل المواد الأولية إلى ممنوعات، والنوع الأخر الأسواق المعدة لعرض وبيع تلك المصنوعات المحلية أو المجلوبة من الخارج[2].

ومن الملاحظ أن الدكاكين المخصصة للتصنيع كانت أكثر اتساعا من دكاكين البيع، لأن العمل في التصنيع يتطلب مكانا فسيحا لوضع الآلات والمواد الأولية اللازمة للصناعة وكذلك لاستيعاب العاملين والذين هم غالبا أكثر عداد في دكاكين الصناعة عنهم في دكاكين التجارة[3].

وظهرت في تلك الأسواق ظاهرة التخصص أي بأن تتجمع كل طائفة من التجار في سوق خاصة بها تنسب اليها، مثل سوق الحواشين، وسوق العطارين، وسوق المركاض، وسوق الكتيسين، وسوق القماش، وسوق الصياغين، والراحين، والحلفاوين، والبستانين، والدباغين، وسوق الغزل، والقشاشين، وسوق القلالين[4] وسوق الحدادين، وسوق صانعي السلال وسوق النحاسيين، وسوق الشماعين [5] وسوق الخزارين والحرير وسوق العزافين.

---

[1]- جميلة مبطي المسعودي ، المرجع السابق ، ص 157-158-159.

[2]- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج1 ص 71-72 ، انظر الملحق رقم (01) ، 94.

[3]-حسن حسني عبد الوهاب، المرجع نفسه ، ج1 ،ص72.

[4]- محمد حسن، المرجع السابق ،ص 475.

[5]-ابن عبدون، رسالة في الحسبة، تح : ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 233، أحمد بن عامر، المرجع السابق ، ص 89 -99

والنوع الثاني من الأسواق الأسبوعية التي كانت تعقد في أيام معينة في الأسبوع حيث يجتمع فيه أهالي القرى في يوم معلوم من الأسبوع بسلعهم ليسعها وشاء ما يلزمهم من حاجات متنوعة [1]،والسوق الأسبوعية كانت تعتبر مؤسسة على غاية من الحيوية، ود أثبتت الشهادات وجودها منذ زمن بعيد وهي ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا[2] ،وقد وجدت عدة أسواق أسبوعية مثل صفاقس بعقد يوم الجمعة وكذلك في جزيرة جدية للماشية والصوف وكانت تعقد في مدينة تونس ثلاثة أسواق في أماكن مختلفة كل أسبوع ، وكانت غالبا ما تقام عند أبواب المدن ، ويؤمها المزارعون والبدو وبضائعهم الريفية التي يبيعونها لاقتناء الحاجيات بالمدينة[3].

ووجدت أسواق ورحبات خاصة بالحبوب، يطل عليها سوق (البر) وقد انتقل هذا السوق من مكانه إلى موضع ثان ملك للمخزون بمدينة القيروان في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، ود أجبر تجار سوق البر على إخلاء المكان الأول عنوة ،والى جانب الأسواق التي تعتقد في المدن وجدت أسواق في البادية التي يقع فيها التبادل بين منتجات الحضر والنتاج الزراعي والبدوي ، ويتم فيها تجميع هذا النتاج وإلتقاء الجماعات البدويـة وغالبا ما يكون هذا النوع من الأسواق أسبوعيا أو موسمية[4] ،وتجدر الإشادة إلى أنه قد وجدت للطوائف غير المسلمة (أهل الذمة) أسواق مثل سوق الصاغة بمدينة تونس، لأن بصناعة المعادن الثمينة من ذهب وفضة تمثل صناعة يهودية قديمة ثم توريديها من المشرق الى المغرب[5].

أما عن السلع المعروضة داخل تلك الأسواق فقد تنوعت وإشتهرت كل منها بنوع معين من المعروضات، فالبعض اختص بالتجارة في الحاصلات الزراعية، والبعض في المنتجات الحيوانية، والبعض الأخر في المنتجات الصناعية، وبذلك قام هناك نوع من التكامل بين هذه الاسواق بواسطة تبادل السلع بين المدن والقرى[6].

---

[1]– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي القاهرة 1991 ، ص 225.

[2]–روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ج2 ،ص 45.

[3]– الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحسني ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ج1 ، ط1 ، عالم الكتب بيروت 1989م ، ص 231 .

[4]– محمد حسن، المرجع نفسه ، ج1، ص497-510.

[5]–روبار برنشفيك، المرجع السابق ،ج1 ،ص 442.

[6]–عفيفي محمود ابراهيم، مظاهر الحضارة في بلاد المغرب ، ص 173.

أ. **الحسبة:** قد خضعت الأسواق في بلاد افريقية أيام الحكم الموحدي والحفصي لنظام شديد من المراقبة والتنظيم ومقاومة الغش ومنع التدليس، والإشراف على عمليات البيع والشراء، كان كل ذلك في يد المحتسب، والحسبة وظيفة من قبيل الوظائف الدينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] ويعتبر المحتسب المنظم الحقيقي للحياة الاقتصادية عامة في المدينة والحياة التجارية والصناعية على وجه الخصوص، ولذا فان نظام الحسبة كان من أوائل النظم الإسلامية ظهورا [2] ،ومن مهام المحتسب النظر في الأسواق وترتيب الصناع كل مهنة في موضعها ، وصنع إعاقة الحركة في الأسواق، ومراقبة الأسعار ووضع الإحتكار[3] ،ومن أمثلة الغش في الأسواق بيع الخبز ناقص الوزن، وقيام صاحب الفرن بخلط القمح الرديئ بالطيب ، وخلط العسل الجيد بالرديء، والزيت القديم بالجديد، وخلط اللبن بالماء، وتسعن الأكسية بالكبريت، ودهن الثنين بالزيت ، وقيام الجزارين بخلط اللحم السمين بالمهزول أو النفخ في اللحم ومن الغش أيضا نقش الدراهم والدنانير بالنحاس[4].

لقد كان المحتسب يعين من قبل القاضي، وهو يتبعه بالنظر، وفي ذلك ما يثبت صفته الشرعية، غير أنه بعد أن حدثت الحركات الانفصالية واستقل الأمراء في الولايات عن السلطة المركزية صارت وظيفة المحتسب ذات الصيغة سياسية ترتبط مباشرة بسلطة الأمير.[5]

وينطبق ذلك على العهد الحفصي في افريقية ، عندما استقلت عن الحكم الموحدي في مراكش، حيث تغيرت وظيفة الحسية ولم تعد ذات قيمة تذك، فقد تحول النفوذ الحقيقي إلى " قاصي الجماعة" الذي كان ينظم إلى كل مسائل المتعلقة بالمحتسب من تهيئة عمانية وأحكام السوق (أسعار ومكاييل وموازين) وإصلاح النقود دوت التثبت من وزنها ... وغي ذلك[6].

[1]- الحبيب الجنحا ، الحياة الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الاسلامي ، الدار التونسية للنشر، 1977، ص70.

[2]-كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ص 309.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 201.

[4]-الونشريسي ، المصدر السابق، ص 54 -409-411-416.

[5]-عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 201.

[6]-محمد حسن، المرجع السابق ، ج 1،ص 511

ويبدو أنه شيئا فشيئا بدأت الحسبة تنفصل عن خطة القضاء، ولم تعد تابعة لها، وتراجعت مهامها وأصبحت في كثير من الأحيان من مهام قاض الجماعة وأعوانه مثال على ذلك تدخل قاض الجماعة قطع الطواحين المستحدثة في اسواق مدينة تونس لقلي الحبوب فأضر دخانها بالسكان [1] ، وفي كثير من الأحيان لا يوم المحتسب بأي عمل، الا بعد موافقة القاضي الجماعة [2]و تجدر الاشارة الا أنه وان تخلى المحتسب عن الكثير من المهام، وتناقص عدد أعوانه في الأسواق ، إلا أنه لم ينه عمله بشكل مطلق فقد جلس وسط الأسواق الكبرى بإفريقية، لحل النزاعات وقتها.

ب. **التسعير**:

أما عن الأسعار السلع داخل الأسواق فلم تكن ثابتة لأنها لم تكن بمنأى عن الأحداث السياسية والظروف الطبيعية السائدة أنداك فكانت ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى وفقا لنظرية العرض والطلب، ففي أيام الرخاء يكثر الإنتاج ويفيض عن الحاجة فتنخفض الأسعار أما في أوقات الشدة فيقل الإنتاج ولايعني بحاجة السكان فترتفع الأسعار[3].

فكان مثل سعر القفيز من القمح في إفريقية يساوي خمسين درهما والتسعير أقل من ذلك وغالبا سعر لحم الضأن كان كل رطل بدرهم ، وأنواع اللحوم الأخرى أقل منه في الثمن، وثمن الدجاجة درهمان[4] ،إلا إن تلك الأسعار قد ارتفعت وحدث الغلاء فسجل سعر القفيز من القمح ثمانية دنانير من الذهب وذلك نتيجة الظروف السياسية القاسية وكذلك عندما إجتاح الوباء والأمراض مدينة تونس [5].

وقد إختلف العرب في مسألة تحديد الأسعار فأهل السنة ، وقفوا موقفا سلبيا من التسعير مفضلين حرية الأسعار، وذلك خلافا للمعتزلة الذين نادوا بتدخل السلطة لتحديد الأسعار فيما ذهبت كتب

[1]- محمد حسن، المرجع السابق ، ج1، ص 496.

[2]- البرزلي المصدر السابق ، ص 292-293.

[3]-عفيفي محمود ابراهيم المرجع السابق ، ص174- 136-139.

[4]-العمري، مسالك الأبصار في ممالك، معهد العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت، 1988م، ص6 ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 5، ط1، الأميرية بالقاهرة ، 1913م ، ص 115.

[5]-ابن أبي دينار، المصدر السابق ، ص 136-139

الحسبة[1] ،على ضوء تسعير المواد الغذائية الأساسية مع التركيز على أمر سياسي وهو شعبة العمليات التجارية في البيع والشراء أما ابن خلدون فيرى أن تحديد السعر مرتبط بعدة معطيات أهمها تكلفة الإنتاج ،للبضاعة فهو بذلك يرى أن تحديد السعر مرتبط بقانون العرض والطلب، وله يخضع لأي ضغوطات من السلطة الحاكمة ،إنما هو نتيجة لحرية المنافسة في السوق الذي كان يلعب دور موازنة الأسعار ومعادلتها بطريقة تلقائية[2].

ج. الإحتكار:

وبغية تنظيم عمليات البيع والشراء في الأسواق، والحرص على يسرها سيرا حسنا تصدت الدولة لعمليات الاحتكار التي كان يقوم بها بعض التجار ، حيث كانوا يعمدون على إخفاء البضائع وتخزينها حتى تفقد في السوق، فيشتد الطلب عليها ويرتفع ثمنها، خاصة في أوقات الكوارث والأزمات.[3]

وقد وجدت ظاهرة الاحتكار في أسواق افريقية في فترة العصور الوسطى فكان القصابون(الجزارون) أو بالأحرى تجار الماشية يمارسون احتكارا واضحا في مهنتهم، فقد خضعت المهنة إلى تنظيم عمودي قاعدته السفلى الرعاة وأعلاه السلطان، فقد انفرد تاجر السلطان بشراء الماشية من السوق ثم يقوم بتوزيعها على فقراء الجزارين لذبحها مرابحة ، وقد ظل هذا الاحتكار قائما في العهدين الموحدي والحفصي في إفريقية إذ إنفرد بعض الجزارين بشراء المواشي برحبة الغنم بتونس، فيما منع بقية الناس وهذه العملية كانت تحظى بموافقة ضمنية من السلطات بل أكثر من ذلك فقد شارك كل من السلطات والقصاب في النهب المنظم التي تعرضت له البادية، وهو أخذ إتاوة على الرعاة يطلق عليها شاة العادة[4].

[1]- الونشريسي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 83-84-85.

[2]- محمد حسن، المرجع السابق ،ج 1 ،ص498- 499.

[3]- القادري بوتشيش ابراهيم، الأسواق في المغرب والأثر ليس من خلال العصر الوسيط تنظيماتها ومعطياتها الاجتماعية، تراث الغرب الاسلامي، بيروت، 2002م، دار الطليعة ، ص103.

[4]- محمد حسن المرجع السابق ،ج1، ص485- 486.

ومن الطرق الأخرى الدالة على ظاهرة الاحتكار، هي أن الجزارين يتلقون الغنم المقبلة في البادية في الطريق لاقتنائها بأسعار غير مرتفعة [1] ،وليس الغنم فحسب بل عمد تجار الحضر إلى تلقي السلع الأخرى الوافدة عليهم في البادية قبل وصولها إلى السوق وإنزالها منهم ، فيشترونها بأبخص الأثمان ثم يبيعونها في السوق بأثمان مرتفعة بغية تحقيق ربح أكثر[2] ،وكذلك تعرضت أسواق العطارين بإفريقية إلى ظاهرة الاحتكار، ذلك أن بعض العطارين غالبا ما كانوا يتلقون بعض السلع الواردة عليهم من المدن الأوروبية قبل وصولها إلى الأسواق فيتحولون رأسا إلى فنادق النصارى لإقتناء تلك البضائع ، إذن فالاحتكار الذي يسبب الضر هو محرم في الشريعة الإسلامية[3].

د. **الضرائب:**

لم تكن ضرائب أو قبالات الأسواق ، في افريقية أمرا مستحدثا في العهدين الموحدي والحفصي، إنما عرفتها المجتمعات العربية الإسلامية منذ العهود السابقة[4].

وفي العهد الحفصي الذين سلكوا مسلك الموحدين استمر العمل بالقيالة (الضريبة) وشملت شتى الحرف والتجارات ، كانت تتمثل في أن يتولى الجابي أو المتقبل التزام المالي الموظف على الأسواق ، فيسلم المبلغ المطلوب للمخزن (بيت المال) على أن يؤخذ من التجار والحرفيين مبلغا أكثر ارتفاعا وعادة ما يقع تكليف أحد الحرفيين أو التجار لجمع المال وتسليمه للمتقبل[5].

وتجدر الإشارة إلى أنّ المتقبلين والمستفيدين في هذا النظام الجبائي ينتمون عادة إلى أهل المخزن (بيت المال) والمقربين منه أو كبار الحرفيين والتجار والمضاربين من سكان البلاد أو من الأجانب، وتشير احدى

[1]- محمد حسن، المرجع السابق ، ج1، ص 486.

[2]- البرزلي ، المصدر السابق ج3، ص 232-233-234

[3]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ج2، ص 255.

[4]-إبن عذاري محمد المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، تح محمد إبراهيم الكتاني و محمد بن تلويت عبد القادر ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1989م ، ص 37، 38

[5]- محمد حسن، المرجع السابق، ج1، ص 545.

النوازل إلى فئة كانت تجلس عند أبواب المدن في العصر الحفصي لجباية ضريبة تسمى مكس الباب وكان قضاة تونس يحصلون على رواتبهم من ذلك المكس[1].

وكان هناك ضريبة تعرف بإسم حقوق الأرض أو المكس وهو رسم يحصل على الأماكن التي تشغلها بضائع التجار حين تطرح للبيع في الأسواق أو على دكاكينهم في الأسواق، حيث أن الدولة كانت مالكة لتلك الأماكن دون منازع سواء أكانت خالية أو بدكاكينها،[2]وبالإضافة إلى المكوس والمغارم التي يدفعها التجار عند أبواب المدن برا وبحرا وفي الأسواق، كانت للحياة مبالغ مالية يفرضونها على المبيعات لأنفسهم[3] ،وهنالك جباية يدفعها الوافدون على المدن من البادية وغيرهم عند باب المدن تعرف باسم ضريبة الفائد ،**مثال:** الجبوب = قفير بدرهمان ، الزيت=الجرة بثلاث بيزا ، السمك=القارب بنصف دينار[4] ،وذلك أن الضرائب التي كانت على المبيعات في افريقية في العهد الحفصي في الأسواق كانت عديدة ومتنوعة لذلك ظهر نوع من الإستعاض والتنمر في طبقات الشعب فكان الإمام ابن عرفة يطلق على ضريبة المكس نوع من الإحتكار ،لذلك تدس العامة في القيروان بشكوى إلى القاضي من تلك الضريبة التعسفية ، فحكم القاضي أنه لا وجود للمكوس في الشريعة الإسلامية، ولذلك أساءت معاملة الماكس الذي يقوم بجمع ضريبة المكس[5] ، ولا شك أن إرهاق التجار في الأسواق بالضرائب يؤدي إلى الكساد التجاري ولا يشجع على العمل والإنتاج والبيع والشراء، وقد مرت بالفعل على أسواق إفريقية فترات كساد تجاري ، وذلك حينما فرض بعض سلاطين بني حفص ضريبة على الأسواق والصناع والتجار[6].

هـ. التعامل التجاري:

[1]– الونشريسي، المصدر السابق ، ج 6، ص 152.

[2]–عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 250، أبو شامة ج6، ص 343.

[3]–أبوشامة عاشور ، علاقة الدولة الحفصية مع بلاد المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة 1991م ، ص 344.

[4]– محمد حسن، المرجع السابق ، ج1 ص 540.

[5]– روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ج2، ص 249.

[6]– الوزان ليون الافريقي ، المصدر السابق ، ص 91.

هـ–1 النقد الحفصي: لقد افتدت الدولة الحفصية من أول ظهورها إلى آخر عصرها سنن الموحدين في سبك مسكوكاتهم شكلا وكتابة[1].

هـ–2 الدينار الحفصي: كان أول دينار حفصي الدينار الذي ضربه السلطان أبو زكريا أول سلاطين لبني حفص، اكتفى فيه بنقش اسم المهدي فقط[2]، وكانت النقوش الموجودة على دينار أبي زكرياء الحفصي تعكس مدى ما وصلت إليه الدولة من قوة فنجدها قد نقش عليها الشكر لله – والمنة لله– ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعلى دائرة أحد وجهي الدينار أخر : أمنت بالله ومابكم من نعمة فمن الله [3]، وقد يتجاوز الدينار الحفصي العيار الشرعي بقليل أو ينقص عنه ولكنه في غالب الأحيان يحوم حول 4.72 غرام من الذهب فكان ذا عيار مستقر طوال العهد الحفصي[4] ،ولم يتضرر عيار الدينار الحفصي بالإضطرابات السياسية أو الآفات الطبيعية ، إذ لم تصلنا دنانير ذات عيار منقوص طوال العهد الحفصي ،وبالنسبة لحجمه فقد تراوح قطرا الدينار الحفصي بين 25–30 مم وقد يصل إلى 31 مم وقد ينزل أحيانا الى 20 مم، لكنه يبقى دائما بنفس الوزن[5].

والجديد بالذكر أن الدينار الحفصي كان أقوى عملة ببلاد المغرب والأندلس في تلك الفترة، وتعود قوة الدينار الحفصي في وزنه الذي يتراوح ما بين 4.50 غرام و4.70 غرام[6] لذلك اكتسب الدينار الحفصي ثقة المتعاملين مع الدولة الحفصية وتجلى ذلك في أن عمله كان التعامل على مستوى الرسمي وفي الميدان التجاري[7].

هـ–3 الدراهم الحفصية:

[1]–صالح بن قربة ، انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي ، خلال القرون الوسطى، جامعة محمد الخامس ، المملكة المغربية ، الرباط ، 1995م ، ص191.

[2]– طاهر راغب ، قراءة لعملات الحفصين الأولى ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد مجلد ،22 ، 1983، 1984، ص119.

[3]– الزركشي، المصدر السابق ، ص 69 ، انظر الملحق رقم (03) ، ص96.

[4]–صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي ، جزءان، رسالة دكتوراه ، جامعة تونس 1995م ،ج1 ، ص 267.

[5]– صالح بعيزيق، المرجع نفسه ، ج1،ص267– 270.

[6]–أبو شامة عاشور ، المرجع نفسه ، ص 380.

[7]–صالح بعيزيق، المرجع السابق ، ج2 ، ص 277.

إن الدراهم الحفصية كانت مربعة الشكل مثلها مثل الدراهم الموحدية ، وهي خاصية حافظ عليها الدرهم الحفصي طوال عهود بني حفص[1] ،والجديد بالذكر أن الدراهم الحفصية قد تعرضت للغش ، مما أدى إلى إنحطاطها وعدم إستقراراها ، ولذلك أدخلت على الدرهم الحفصي إصلاحات للرفع من قيمته[2] ،ويذكر ابن الفضل الله العمري: أن الدولة الحفصية إعتمدت نوعان من الدراهم أحدهما يسمى القديم والأخر الجديد ، وزنتهما واحد ولكن نقد جديد خالص ونقد قديم مغشوش (مخلوط بالنحاس) وذلك لأنه حدث التعامل النقدي بالدينار الفضي غير ملموس يحس به فقط[3].

سمي ب(دينار الدراهم) أو دينار عشري الصرف مساو لعشرة دراهم عتيقة وقد أورد ابن قنفذ ، عن حديثه عن الأمير أبي إسحاق ابن السلطان الحفصي أبي العباس أحمد (أنفق الأمير أبو إسحاق في حروب خاضها في شهر شعبان من سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وثمانين ألف دينار دراهم جديدة) وهذا يعين امكانية احتساب الدينار الحفصي بالدراهم الجديدة مع مراعاة المعادلة في الصرف[4] ،وبذلك نلاحظ أن النقد الفضي الحفصي (الدراهم) كانت عرضة للغش والفساد ، وكثيرا ما كانت السلطة الحفصية تقاوم تزييف العملة، بخلاف النقد الذهبي الذي ظل كما ذكرنا ثابتا ونسبيا ولم يتعرض للتزييف.

و. **المقايضة:**

لم تقتصر طرق استخلاص الثمن في التعامل التجاري على البيع نقدا ، وإنما إستخدمت طريقة المقايضة ، وهي مبادلة أشياء بأشياء أي معاوضة سلعة بأخرى[5].

[1]– حسن حسيني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج1 ص457.

[2]– روبار برنشفيك ، المرجع السابق ج 2 ، ص 74.

[3]– القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ،ص 136.

[4]–ابن قنفذ ، المصدر السابق ، ص 187.

[5]–الونشريسي، المصدر السابق ، ج 05 ، ص 238.

وهي عملية مركبة (بيع وشراء في ذات الوقت) وغالبا ما تتم بين التجار في الأسواق البعيدة [1] ،و لعل أشهر تجارة من هذا النوع كانت مع بلاد السودان، حيث كان يتم مقايضة الملح والنحاس من بلاد المغرب بالذهب من بلاد السودان وأطلق عليها اسم التجارة الصامتة[2].

ز.الصكوك والسفاتج والحوالات:

إن استخدام الصكوك كان منذ عصر صدر الاسلام ، كوسيلة لتعويض عن دفع النقود وهو أمر خطي يدفع بواسطة مقدار معين من النقود إلى شخص المسمى فيه[3] ،وقد شاع إستعمال الصكوك في باقي أجزاء المغرب بما فيها بلاد إفريقية ، وان كانت تتم غالبا بطريقة بدائية[4].

السفتجة كلمة فارسية (سفتة، أي ورقة) ، ويذكر ابن منظور كلمة سفاتج من سفتج أي الخفيف والسريع ومن القول: سفتج فلان لفلان النقد، أي عجله[5] وتستعمل السفاتج أو الحوالات للدفع في بلاد أخرى، وهي أن يعطي تاجر المال لمن له المال بالبلد الذي يريد أن يسافر إليه ، بأسعار ذلك البلد ويأخذ منه سفتجة ليستظهرها لمن عنده المال في ذلك البلد ، وتساعد هذه العملة على تأمين المال للطرفين: الدافع والقابض، وحمايته من غرر الطريق ومخاطره[6] ،والجدير بالذكر أن النظام السفاتج أو الحوالات كانت تستخدم في التجارة مع البلدان النائية [7] ،وكان الصرافون مع الذين يقومون بتحويل السفاتج إلى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول[8].

[1]- أبو شامة عاشور ، المرجع السابق ، ص263.

[2]- ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص 606.

[3]- ابن منظور، المصدر السابق ، ص368.

[4]- مريم محمد عبد الله جبوده ، التجارة في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي ، رسالة دكتوراه ، بكلية الآداب جامعة الزقازيق ، 2008م ، ص219.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق ، ج4، ص 606

[6]- أبو شامة، المرجع السابق ، ص 363.

[7]- نجاة باشا، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن 4 هـ الى القرن 8 هـ، منشورات 1976 الجامعة التونسية، ص 110

[8]- الونشريسي، المصدر السابق ، ج 05، ص 88 ،89

وقد إستعملت هذه العملية عند تجار العهد الحفصي في معاملاتهم ودليل ذلك العقد الذي أورده أبن رشد[1].

ح. الموازين والمكاييل:

تعتبر المكاييل والموازين من الأمور وثيقة الصلة بالحياة الإقتصادية، وبموضوع التجارة على وجه التحديد ،خاصة وإنها تظهر مدى مرونة التبادل التجاري ويمثل النظام المكاييل والموازين عنصرا أساسيا من عناصر تتبادل السلع إلى جانب النقود ،ومن أهم الوحدات الوزنية المستخدمة في افريقية الأوقية البالغ وزنها 48 و31 غرام [2] ،والقنطار ويساوي في افريقية 50.4 كلغ أي ما يساوي 1600 أوقية [3] الرطل العطاري وهو يستعمل لوزن الذهب والمواد الثمينة والمعادن المختلفة ويساوي (16 أوقية)[4] وهناك عدة أنواع من الأرطال لكن الرطل العطاري كان له الأكثر إستعمالا في العهد الحفصي لا سيما في المعاملات التجارية مع الخارج ،أما المكاييل فكانت تستخدم للسوائل والحبوب وتختلف من منطقة إلى أخرى ففي القيروان إستعمل القفيز الذي كان يساوي 187.58 لتر او (16 ويبه) والويبة تساوي 11.72 لتر ، وتتقدم الوبية بدوها إلى 12 صاغ ، والصاغ يساوي 0.98 لتر او 12 مدا.[5] كذلك يجب الإشارة الى المكاييل اليدوية (أيدي البشر) والتي إستخدمت بكثرة برغم عدم دقتها وأهمها القبضة (قبضة اليد) والحفنة (حفنة اليد)[6] ،وكذلك المقاييس لقياس الأطوال أهمها: الذراع وكان سائد في العهد الموحدي والحفصي الذراع العبي البالغ طوله 0.48 مترا وينقسم إلى أجزاء الأصبع يساوي 0.02 متر والشبر يبلغ 0.24 متر والقامة وتساوي من 1.65 متر الى 1.70 متر[7].

---

[1]- محمد حسن، المرجع السابق ، ص 264

[2]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص259- 260 ، نجا باشا المرجع السابق، ص 89.

[3]- نجاة باشا ، المرجع نفسه ، ص 89.

[4]- أبو شامة ، المرجع السابق ، ص 336 ، روبار برنشفيك ، المرجع السابق ج2 ص 261.

[5]- روبار برنشفيك، المرجع نفسه ج2 ص261- 262 ، أبو شامة عاشور ، المرجع السابق ، ص 337.

[6]-روبار برنشفيك المرجع نفسه ، ج2 ، ص 263.

[7]- نجاة باشا ، المرجع السابق ص 88.

ط.الشركات التجارية :

هي إتفاق بين طرفين يلزم بالعقد ،بمقتضاه خلق وسائل الإنتاج ،من رأس مال وغيه والعمل(الجهد)[1] ويتقاسم الشريكان الربح على أساس مدى المساهمة في الشركة[2] ،ويجدر الإشارة إلى أن الشركات كانت بمثابة الضمان والتأمين للعمليات التجارية[3].

وقد ظهرت آنذاك شركة المقارضة وهي أنواع : إما أن يقرض احد الطرفين مال لأحد هم ،على أن يسافر به للتجارة ويكون الربح بينهما هنا صدفة ،وكان هذا العقد الأكثر شيوعا ،من غيره وإما أن يسلم التاجر الكبير البضاعة للتاجر العامل لتوزيعها إما داخل البلاد او خارجها مقابل أجرة محددة.

وهنا اعتبر العامل بمثابة الأجير الشريك[4] ،ولقد وجد هذا النوع في إفريقيا في العهد الحفصي وهناك نوع آخر من شركة القراض تمثل في تسليم التاجر أموالا لصاحب مركب على أن يقتضي بضاعته من بلاد أخرى ،وهي عملية لا تخلو من المخاطر والصعوبات [5].

2.المطلب الثاني: المنشآت في تونس الحفصية

أ.الفنادق:

الفندق عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدة منشآت ،منها سكنية لإقامة التجار، وأخرى لتخزين السلع ومكاتب لتنظيم الفندق وتسيير الشؤون العامة للجالية[6].

حيث كان في بلاد افريقية لكل جنسية فندق خاص بها لا يشاركها فيها أحد، ويذكر ماس لاتري إن الفنادق كانت مخصصة لسكن المسيحيين ،وأن عملية البيع والشراء كانت تتم تحت رقابتهم ،وتكون

[1]- محمد حسن، المرجع السابق ،ج1 ،ص 527.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق ، ج8، ص 189.

[3]-ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص 20 .

[4]- البرزلي، المصدر نفسه ، ج3 ص 440-442، الونشريسي، المصدر السابق ، ج 13 ،ص 201

[5]- الونشريسي، المصدر السابق ، ج8 ، ص 204-205، البرزلي، المصدر نفسه ، ج3 ،ص 434.

[6] -عبد الناصر جبار، بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط ، ص 207.

هذه الفنادق على شكل أحياء في وسط المدينة أو خارجها وإن كانوا يفضلون غالبا أطراف المدينة بعيدا عن المدن الآهلة بالسكان العرب[1].

إذا كانت في السابق عبارة عن مبنى مكون من أفنية صغيرة ومخازن ودكاكين وغرف للاستحمام ، دون أن تكون هناك أماكن للحيوانات المخصصة للركوب[2] ، وبعدما تطور مفهوم الفندق فصار يحتوي على وظيفتي التنزيل والتخزين للسلع الواردة عن طريق البحر بالإضافة الى أنماط الحياة المختلفة، فاحتوى على كنيسة للأداء الشعائر الدينية ،وفرن لإعداد الطعام للنزلاء ومدافن لدفن الموتى ،بالإضافة إلى وجود محلات لتقديم الخدمات الضرورية الأخرى، مثل محل لخياطة الملابس، وآخر لصناعة الأحذية وثالث لبيع الخمور، بالإضافة إلى محلات لدباغة الجلود والفراء ،كما تم منع تربية الخنازير داخل الفندق أو السماح بالأعمال المخلة بالأخلاق فيه،هذا بالإضافة الى وجود الحمامات والحانات والسجون،[3]فقد كان الفندق سوقاً تجارياً تباع وتشترى داخله بضائعهم أو البضائع المحلية ،وتعقد فيه الصفقات التجارية ،وللفندق وظائف متعددة أهمها الوظيفة الإقتصادية ،إذ جُعل أصلاً ليكون مؤسسة دائمة لخدمة المصالح التجارية، فهو مخزن للسلع ويتم الخزن مقابل أداء يدفع للقنصل، وهو سوق تجارية للبضائع الموردة وهو مورد للعائدات المالية المتأتية من كراء المحلات والفرن، إلى جانب الآداءات الموظفة على العقود التجارية [4]وله وظيفة سياسية ،لأنه مقر القنصل الذي إعتُبر ممثلاً رسميا للدولة أو المدينة ،وأيضاً له وظيفة دينية لأنه إحتوى على مبنى الكنيسة الخاصة بالجالية ، وكان لكل جالية مسيحية فندقها الخاص بها ،فإن كل فندق كان منفصلاً عن الفندق الآخر بواسطة حوائط حجرية من التراب المدكوك[5] ،ولكل فندق بابه الخاص به والذي يمتاز بالصلابة والمتانة ويقوم بالحراسة عليه بوابون أو أمناء ،غالباً مايكونون من المسلمين ويخضعون لسلطة القنصل[6].

---

[1]– مريم محمد عبد الله جبوده ، المرجع نفسه ، ص233.

[2] –صالح بعيزيق ، المرجع السابق ، ج 1، ص 242.

[3]– مريم محمد عبد الله جبوده ، المرجع السابق ص234.

[4] – صالح بعيزيق ، المرجع السابق ، ج 1، ص242– 243 ، انظر الملحق ، رقم (01) ، ص94.

[5]– مريم محمد عبد الله جبوده ، المرجع السابق ، ص 236 .

[6]– عيسى بن الذيب ، المرجع السابق ، ص 150، عبد الناصر جبار، المرجع السابق ، ص 209.

والسبب الرئيسي لهذه الحراسة المشددة على الفنادق أنها كانت مخازن للسلع والبضائع التجارية، ولذلك يجب حمايتها وحراستها حفاظاً عليها من السرقة والنهب[1] ،أما بالنسبة لمسألة صيانة وإصلاح الفنادق فإنها على مايبدو كانت تخصم من الرسوم الجمركية، أومن ثمن إيجار بعض المحلات التجارية.

ففي عام 680 هـ /1281م كان القنصل العام في البندقية يفرض على قنصل تونس أن يستخدم جزءاً من العوائد في إستئجار بعض المحلات في إصلاح وتنظيم الفندق[2] ،والجدير بالذكر أن الفنادق كعقار ليست ملكاً للدولة التي يسكنها تجارها ،بل إن الملكية الفعلية للعقار تعود إلى الدولة صاحبة الأرض أي إلى الدولة الحفصية في بلاد إفريقية ،فبمجرد ترك التجار للفندق فإنه يعود وبجميع مرافقه للدولة صاحبة الأرض[3] ،وكانت الفنادق تسمى أحيانا بإسم البضائع التي تخزن فيها مثل :فندق الصوف المغزول ،وفندق القمح، وفندق الفحم ،وفندق الخضرة، وفندق الملح، وفندق الرماد الذي يقع فيه ..الغزل وتنظيفه[4].

أ.الحمامات:

تعد الحمامات من المرافق الحيوية في المدن الإسلامية بإرتباطها بالنظافة والتطهير اللذان يدعو إليها الدين الإسلامي ،لذلك إنتشرت الحمامات في كل أنحاء الدول العربية ،فقد وجدت بها هذه الأخيرة قبل قيام دولة المسلمين بها بكثير[5] ،وكانت أول الحمامات ظهوراً هي الحمامات الرومانية التي إختلفت عن نظيرتها الإسلامية في وظيفتها وتفاصيلها[6] ،فقد كانت الحمامات في البلدان الإسلامية بالقرب من المساجد، حيث يتيسر للمسلمين الإستحمام والتطهر قبل ولوجها للصلاة[7].

---

[1]- عبد الناصر جبار، المرجع نفسه، ص 209.

[2]-مريم محمد عبد الله جبوده ، المرجع السابق ، ص 237 .

[3]- عبد الناصر جبار، المرجع السابق ، ص 211.

[4]- الزكرشي، المصدر السابق ، ص 236 ،محمد حسن ، المرجع السابق ،ج 1 ،ص 550.

[5]- أرنس كونل، الفن الإسلامي، تر : أحمد موسى، دار صادر ببيروت 1966، ص 188.

[6]- عبد الفتاح، رواس قلعة جي ، مدخل إلى عالم الجمال الاسلامي ،دار فتيبة ببيروت، دمشق ،ط 1 ،1991 ص **64**.

[7]- السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، ص 210.

وبالإضافة إلى هذا الغرض كانت الحمامات مكان اللقاءات لأفراد المجتمع ومرحهم وفيها كانت تقام مجالس الأنس واللهو والغناء ،فقد كان الذهاب إليها فرصة لتغيير الجو والتمتع بقسط من الراحة والحرية[1] فقد تكَوَن الحمام من مدخل يؤدي إلى ثلاث أو أربع قاعات لغرض الإستحمام وكلها مغطاة بقباب وبها مراحيض ويتدرج كل قاعة دفئاً وحرارةً ففي البيت البارد يخلع المستحم ثيابه ثم يدخل إلى البيت الوسطاني الدافىء ومنه يولج الى الحُجرة الحارة ،وبالحمام خادم يعرف بالحكاك أو المساد يقوم على خدمة رواد الحمام ،وخُصصت بعض الحمامات للرجال وأخرى للنساء ،أو حددت أوقات مختلفة لهما وبإعتبار الحمامات من المرافق العامة فقد كانت ملكاً للدولة أو تابعةً للمساجد[2].

وكانت قاعات الحمام موصولةً فيما بينها عن طريق فتحات وأبواب، وكانت كلها تتخذ شكلاً مستطيلاً أو مربعاً ،ويؤدي المدخل إلى ردهة صغيرة في شكل موقف يليه حجرة ضيقة ومستطيلة تعلوها قبوة نصف اسطوانية، بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين ،ويفصلهما عن بقية القاعات عقدان يستندان فيها على عمود مركزي وتعرف هذه القاعة باسم البيت البارد[3] ،وقد احتاج الحمام في تلك الحقبة إلى تجهيزات أساسية وإجراء عاملين به فقد إقترن العمل بيه بالوقود ،وهو ما يفسر تموضع عدد هام من الحمامات قرب مخازن الحطب ،إذا ذكر حمام العبدي قرب باب الفلاق وحمام سوق الفلقة داخل المدينة العتيقة وغيره، كما إرتبط وجوده بالآبار التي كان يستخرج منها الماء بالسني ،ويتولى القيام بهذه العملية سواق ،أما العاملون بهذه المؤسسة فإلى جانب المعلم والسواق ،ثمة أجير يتولى أمر الوقود ،وهوالفرناق الذي يتحصل عل أجرة شهرية يأخذها من صاحب الحمام[4] ،وقد نصح أطباء العصر، بإختيار حمامات قديمة البناء واسعة المساحة، عذبة المياه وبارتياد الحمام تدريجياً.

أما عن كيفية الغسل والأدوات المستعملة ،فقد أوصى المغازلي الأمراء الغسل بالسدر والترمس المعجون بالعسل ،والطفل مع تخضيب بالحناء وتنشيف الجسم والرأس بمنشف مخمل أو من القطن

[1]- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع نفسه، ص 209 .

[2]- محمد عبد الله الحماد، التخطيط العمراني لمدن الأندلس الاسلامية ، من الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، القسم الثالث الحضارة والعمران والفنون، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ،الرياض،1996، ط 1، ص 160.

[3]- السيد عبد العزيز سلام، المرجع السابق، ص 112.

[4]- محمد حسن ، المرجع السابق ،ج 1 ص 492.

الرطب الخفيف النسج كما أوصى بإطالة الجلوس في محرس الحمام قبل الخروج إلى أن يجف البدن، ولهذا "صنع الحكماء المتقدمون في محارس الحمامات صور الشجعان وكيفية الحرب والتماثيل ليطال النظر إليها الخارج من الحمام وتقوى نفسه بالنظر إلى الشجعان ،فيتمتع بذلك من الخروج من الحمام دفعة فيتضرر بانتقاله دفعة ،من الهواء الحار الى البارد[1] ،وبالإضافة إلى الحكاك عمل بالحمامات الحجامون والسقاؤون الذين يحملون الماء ،على ظهورهم من القاعات إلى الحمام ،وقد تصل المياه رأساً إلى الحمامات من قنوات في جوف الأرض تتفرغ منها أنابيب إلى مباني مختلفة[2] ،وقد اعتبرت الحمامات من بين المرافق العامة وكانت في غالب ملكاً للدولة، أو تابعتاً للمساجد والهيئات العامة[3] ،وقد كان للمستحب دوراً كبير في تحديد أماكن إقامة الحمامات ،كذلك له الحق في تحديد روادها رجالاً ونساءً وفترات دخوله[4].

ب. القيساريات:

كان يباع فيها القماش بمختلف أنواعه كالحرير والكتان والقطن والصوف ،والعطور إضافةً إلى التوابل والقسم الآخر مخصص لبيع الفواكه والخضر ولمجبّنات ،ورحبات خاصة بالحبوب وأخرى لبيع الدواب والماشية ،وجهة معينة تم تخصيصها لبيع الجواري [5].

فالقيسارية مجموعة من المباني على هيئة رواق بها حوانيت ومصانع ومخازن[6] ،أما عن الفرق بين القيسارية والسوق العادي ،فالقيسارية واسعة محكمة التنظيم وتشمل أروقة مغطاة تشبه السوق العصري الكبير ،وتكتسي القيسارية أهمية اقتصادية كبيرة ،فهي عبارة عن مدينة صغيرة تحيط بها أسوار والدخول

[1]- محمد حسن، المرجع السابق ، ج 1،ص 492.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص 113.

[3]-جوزيف مالك كيب ، مدينة المسلمين في اسبانيا ، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي ،مكتبة المعارف ،الرباط ط2 ، 1985،ص 52.

[4]-حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر ط1 ، 1980 ص 403.

[5]- فاطمة بلهواري ، التكامل الإقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط ، مشورات الزمن ، الرباط ،2010 ص 89 .

[6]- علي حامد الماحي ، المغرب في العصر السلطان أبي عنان المرفيفي ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ، 1986 ص186.

إليها يكون من الأبواب التي كانت تغلق ليلاً ،وبداخلها مستودع توضع فيه السلع قبل عرضها للبيع ودور وأفران وحمامات ودكاكين ومسجد وكنيسة ودير للرهبان لأن التجار الأجانب النصارى يقيمون بيها[1].

ج. الدكاكين والحوانيت:

الحانوت حجرة متفاوتة المساحة ،تكون تحت بناية أو مستندةً إلى جدران منازل ،وليس لها نوافذ تحيط بزقاق واسع أو تستند إلى دكان آخر يطل على شارع موازي ،وكلها مفتوح إلى الشارع العمومي وكانت الحوانيت مرتفعة على الشارع ،بنحو ثمانون سنتمتراً حيث يكون التاجر المتربع في دكانه بنفس علو المارة تقريباً ،وهو ما يسهل المحادثات ويلقي الإزعاج الناتج عن ظل المارة ،وفي سقف الدكان حبل مثبت يتسلق به التاجر إلى السقف ،أما الأقفال فيتم بمصرعين خشبيين مثبتين بقضيب حديدي يغلق بقفل ،وأرضية الدكان مغطاة بالحصير[2].

وبعض المدن الحالية تحتفظ بتصاميم تعود إلى العصور الوسطى ،ومن ذلك وجود المصطبة القصيرة أمام صف الدكاكين التي تمتد على كامل ناحيتي السوق إذ يجلس عليها الشاري ،وغالبا ما تكون دكاكين التجار أضيق من الدكاكين الخاصة بالحرف ،أما العاملون في دكان التجارة فغالباً لا يتعدى عددهم الفرد الواحد[3].

ويلجأ بعض التجار إلى إضافة دكاكين بين الحوانيت مما يؤدي إلى ضيق الشارع والإضرار بالمارة[4] وإصطدام الأحمال والإزدحام[5] ،ولقد كان أغلب التجار يكثرون الحوانيت لأنها ملك للأحباس[6] ،أو

[1]- محمد بن ساعو ، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي ، من القرن (7هـ- 10م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،ص 125.

[2]- محمد بن ساعو ، المرجع نفسه ، ص.123.

[3]- فاطمة بالهواري ، المرجع السابق ص 85-86 .

[4]-الونشريسي ، المصدر السابق ،ج8 ، ص 445.

[5]-العقباني ، المصدر السابق ، ص 68 .

[6]- الونشريسي ، المصدرالسابق ج7 ، ص452، ج10،ص 125 .

للسلطان ويبدو أن مدة كراء كانت طويلة ويتم تجديدها ،وفي الغالب يكون المكتري مألوف هو الذي يحصل على صفقة كراء الحانوت مجدداً وبهذا فقد يشغل التاجر الحانوت لمدة تفوق العشرين عاماً[1].

[1]- الونشريسي ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 72.

خـــاتمة

خاتمة:

وبالتالي فإننا من خلال بحثنا و دراستنا لهذا الموضوع ومعرفة كل ما كتبه الباحثون و المؤرخون عن (العامة في تونس الحفصية مابين القرنين 7هـ و10هـ) تحصلنا واستنتجنا جملة من العناصر و المؤشرات وهي كالآتي :

- إنّ العناصر السكانية المكونة لطبقة العامة هي عناصر متنوعة ، حيث نجد العرب والبربر و فئة اليهود والنصارى والعبيد وغيرهم ، حيث إندمجوا وانسجموا مع بعضهم البعض إندماجا اجتماعيا نتج عنه عدة علاقات مختلفة منها اجتماعيا.
- كما إن الطبقة العامة تهتم بتفاصيل الحياة اليومية رغم أن هذه التفاصيل تتكرر بشكل يومي ، حيث اهتموا بمظهرهم فتنوعت ملابسهم ومساكنهم وغذائهم من حيث الشكل واللون والنوع ، حسب الظروف الطبيعية و الأحوال الاجتماعية.
- لقد تركز طعام طبقة العامة في تونس الحفصية ، بدرجة كبيرة على المنتوجات التي تنتجها المنطقة من المحاصيل الزراعية ، إضافة إلى العديد من الأطباق والمشروبات المتنوعة .
- كما تميزت الإحتفالات عند العامة بأيام خاصة تهتم فيه بمختلف مناسباتها كالأعياد الدينية مثل عيد الفطر والأضحى وعيد المولد النبوي الشريف ويوم عاشوراء والأعراس.
- كما أخذت الطبقة العامة في تخليد أي ذكرى أو حدث بإمكانه أن يدخل الفرحة في قلوبهم فجعلوا منه يوما احتفاليا على أن يتشارك الأهل والأقارب معهم في هذه الفرحة ، لتصبح احتفالا رائعا و متكاملا وتمثلت مظاهر هذه الفرحة في تحضير طعام مميز ألا وهو الكسكسي .
- كما عانت هذه الطبقة في الدولة الحفصية وخاصة في تونس الكثير من الآفات الإجتماعية والجوائح الطبيعية أهمها المجاعات و التي أثرت بها و فتكت بهذه الطبقة ، حيث قابلها رد فعل قوي من طرف العامة وذلك على شكل إنتفاضات وحركات شعبية .

خاتمة:

- إن طبقة العامة طبقة قد لعبت العديد من الأدوار داخل المجتمع الحفصي ، أبرزها الممارسات الدينية والثقافية حيث تمثلت في الزوايا الصوفية والاحتفالات ، والمنشآت الاجتماعية والاقتصادية مثل الأسواق والمعاملات التجارية والفنادق والدكاكين.

- كم كان الدور الكبير للفلاحين والمزارعين في إنتاج العديد من المحاصيل الزراعية كالحبوب والقطن والخضر والفواكه وغيرها ، وأما عن الجانب الصناعي فقد قام الصناع بإنتاج الكثير من الصناعات أهمها الصناعة النسيجية والمعدنية والفخارية ، وفي الجهة الأخرى كان للتجار الدور الكبير في المجال التجاري حيث قاموا بالعديد من المبادلات التجارية المتنوعة داخل المجتمع.

وفي الأخير فإنه يمكننا القول إن طبقة العامة لها مكانة هامة في المجتمع الحفصي ، وذلك بسبب الدور الكبير الذي قامت به داخل المجتمع رغم النسيان والتهميش الذي طالها إلا أنها تبقى عنصر أساسي و فعال لايمكن الإستغناء عنه بأي ظرف من الظروف ، على أنها شريحة أساسية في المجتمع .

الملاحق

الملحق (1)

تطور أسواق مدينة تونس وفنادقها

السوق في العهد الحفصي	الموقع	تطوره في العهد العثماني	الموقع (2)	ملاحظات أخرى
سوق الحرير	شمال جامع الزيتونة	سوق الحرارين	من اسواق الرّبع	22 حانوت
سوق القطانين				
سوق الصوّف		سوق الجرابة؟	من اسواق الرّبع	20 حانوت خالية
سوق الغزل	قرب الابارين و سوق النساء؟	سوق الغزل : سوق الحاكة	ناحية باب بنات	19 حانوتًا
سوق القماش أو الرهداريين	حذو جامع الزيتونة غربا			
سوق الابّارين	شمال جامع الزيتونة			
سوق الخياطين	بنفس الناحية			
سوق النّساء	قرب سوق الرّبع			
سوق الجبّة		سوق الجبّة		15 حانوتا
سوق الكمادين				
فندق الرماد				
سوق الصباغين	داخل باب الجزيرة	سوق الصبّاغين	الباب الشرقي	59 حانوتا
سوق الملابس القديمة	بربض باب منارة			
مخزن الطعام أوالسماطون		سوق السماط الكبير	داخل الرّبع	47 حانوتا
سوق الفكة أوالفاكهانيون	شرقي جامع الزيتونة			
العطارون	على طول "الممر الكبير" حذو الزيتونة	سوق العطارين والطيبيين والغرابليين		700 حانوت في العهد الحفصي؟
الشرابيون				
فندق الخمر	خارج باب البحر			

الجدول (1) تطور أسواق مدينة تونس وفنادقها

محمد حسن ،المرجع السابق ، ص:553.

الملحق(2)

صورة تضم جزء الأيسر من رباط المنستير بتونس

صفية ديب ، التربية والتعليم في تونس الحفصية (القرن7هـ–10هـ) ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر2، بوزريعة الجزائر، 2011–2012، ص257.

الملحق(3)

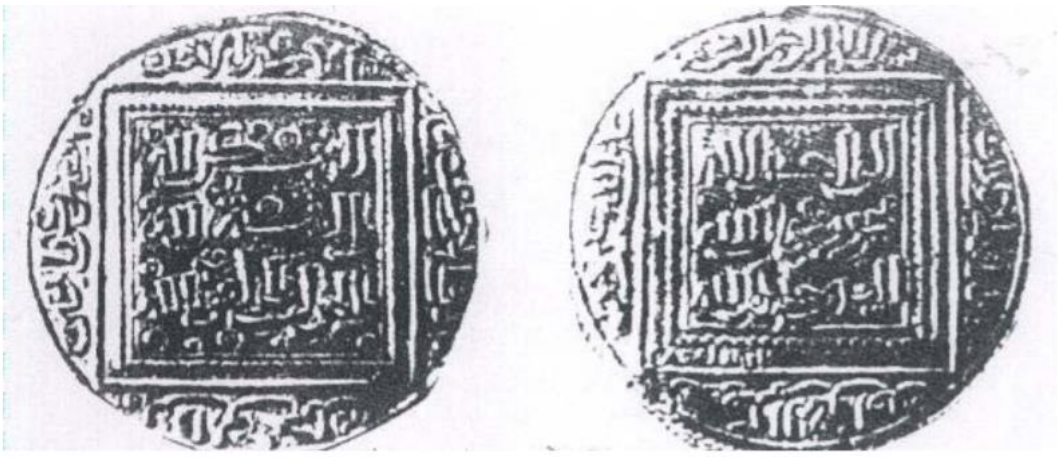

دينار حفصي باسم أبي زكريا يحي الأول ضرب إشبيلية يحمل عبارة
(الشكر لله والمنة لله والحول والقوة بالله)

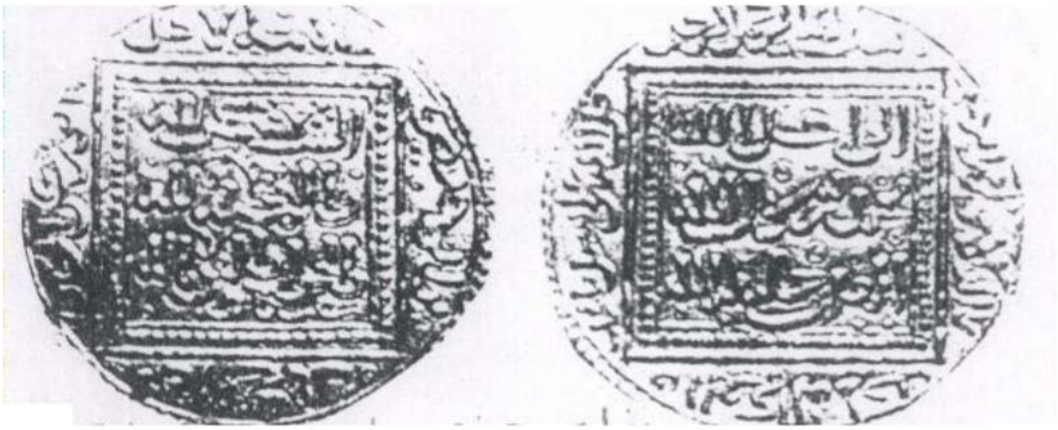

دينار حفصي باسم أبي زكريا يحي الأول ضرب غرناطة يحمل عبارة
(الشكر لله والمنة لله والحول والقوة بالله)

مريم محمد عبد الله جبودة ، المرجع السابق ، ص 295.

الملحق (4)

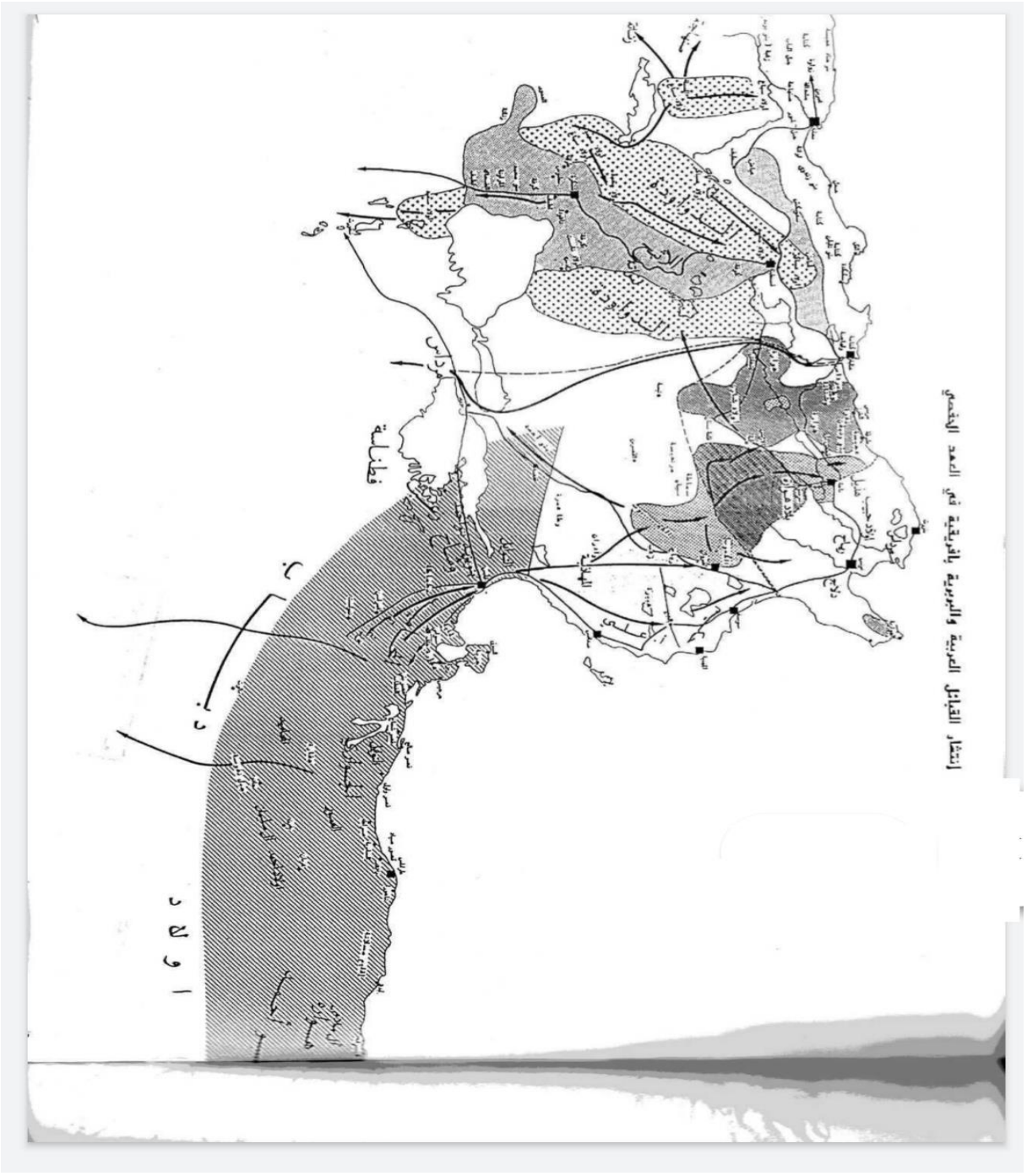

محمد حسن ، المرجع السابق ، ص570.

الملحق (5)

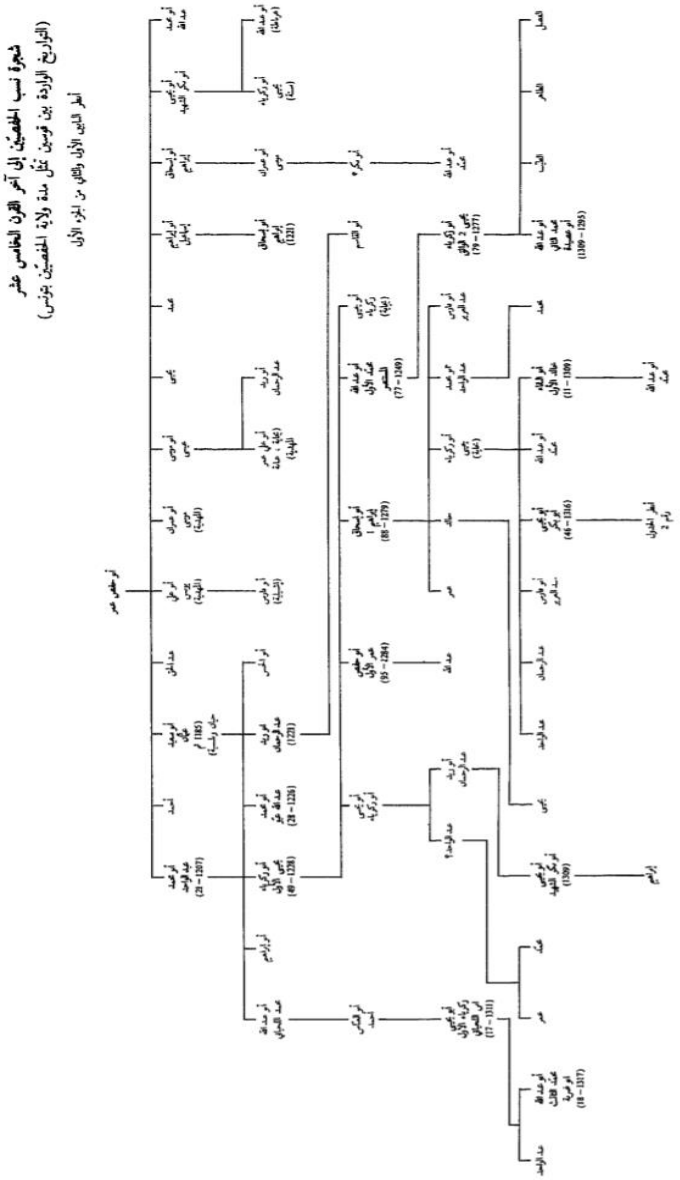

روباربرنشفيك المرجع السابق ص 470.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر

- ❖ : ابو عبيد الله البكري ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب–المسالك والممالك –، تح: دي سلان ،1965م،
- ❖ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، لبنان، 1993م.
- ❖ ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي كان حيا سنة 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منور، دار المنصور الرباط ، 1392هـ/ 1792م.
- ❖ ابن الشماع (أبو عبد الله محمدبن أحمد) ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق:د. الطاهر بن محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب، 1984م.
- ❖ ابن العذارى (أبو عبد الله المراكشي ق7هـ/8هـ ، 13م/14م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين تح : محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تلويت عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1406هـ/1989م.
- ❖ ابن القنفذ(أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي ابن الخطيب القسنطيني) ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح ، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية ، 1968م.
- ❖ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة – المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار– ط1، دار الكتاب العلمي ، الدار الافريقية العربية ، بيروت ، 1991.
- ❖ ابن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ،جداد الفكر، 1421هـ/ 2000م، بيروت ،لبنان، ج6 .
- ❖ ابن صاحب الصلاة، (عبد الملك بن محمد بن ابراهيم الباجي ، ت594هـ/1197م) ، المنن بالإمامة مع المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تح ، الهادي التازي، بيروت، 1964م.
- ❖ ابن عبدون، رسالة في الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور جمال الدين (أبو الفضل محمد بن أبي القاسم توفي 711هـ/1311هـ)، لسان العرب، ج12، دار صادر بيروت د ت .
- الأبي (أبو عبد الله محمد بن خلفة ت827هـ/1424م) ، إكمال الإكمال المعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ت.
- أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج3 ،تح بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي.
- الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني ت 560هـ/1066م ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب ، بيروت ، 1409هـ/ 1989م.
- البرزلي (أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي) ، فتاوى للبرزلي –جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والأحكام– ، تق وتح : محمد الحبيب الهيلة ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2002م.
- التلمساني ابن مرزوق محمد، المناقب المرزوقية ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية.
- التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد –رحلة التيجاني – تق: حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، 1378هـ/1985م.
- الدباغ (ت699هـ/ 1300م) ، وابن ناجي (ت839هـ/ 1435م) ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تع : ابراهيم شيوخ صنعه ابو زيد عبد الرحمان بن محمد الانصاري ، اكمله وعلق عليه ابو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي ، ج1 ، ط1 ، 1960.
- الزركشي، (ابن عبد الله محمد بن ابراهيم) ، تاريخ الدولية الموحدية والحفصية، تح، الحسين اليعقوبي، المكتبة العددية، تونس، 1998م.
- العقباني (أبي عبد الله ابن محمد ابن أحمد بن القاسم)(ت871هـ 1467م)،تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المنكر ، تح ، علي الشنوفي ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، 1967م.
- العمري (شهاب الدين ابن فضل الله ت748هـ/1347م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، معهد العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، 1988م.
- القلقشندي (أبي عباس أحمد) ،كتاب صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1331هـ/1913م.

قائمة المصادر والمراجع:

- ليون الإفريقي (حسين بن محمد الوزان الفاسي) ، وصف افريقيا، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ، 1983م.
- مارمول كاربخال ، إفريقيا ، تر: محمد حجي ، د ط ، دار المعرفة ، الرباط ،ج3 ، 1989م.
- مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح: سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، 1989م.
- محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ،تح : احسان عباس ، ط1، مكتبة لبنان بيروت ،ج4، 1975م .
- المقدسي، (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت378هـ / 997م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991م..
- المقريزي (أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ط1 ، 1934م.
- الونشريسي، (أبي العباس أحمد بن يحي ت814هـ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي الأوقاف الإسلامية ، المملكة المغربية ،1401هـ.

المراجع:

- أومليل علي، السلطة السياسية والسلطة العلمية، الغزالي ابن تومرت وابن رشد، ضمن ندوة "ابو حامد الغزالي "الرباط ،1988م.
- باشا نجاة ، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن 4 هـ الى القرن8 هـ، منشورات الجامعة التونسية 1976م.
- بن عامر أحمد ، الدولة الحفصية ،دار الكتب الشرقية، تونس، 1973م.
- بن قربة صالح ، إنشاء المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي، خلال القرون الوسطى، جامعة محمد الخامس ، المملكة المغربية ، الرباط ، 1995م.
- بن منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب ،ج1، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1388هـ_1968م.
- الجنحاني الحبيب ، في المغرب الاسلامي (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) الدار التونسية للنشر ، 1977م.
- الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام،ط2، دار المكتبة الحياة، بيروت، ج2، 1965م.

قائمة المصادر والمراجع:

- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية،ج3 ،منشورات الحضارة ،ط1، الجزائر 2009م.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام الديني والثقافي، دار الجبل ،بيروت ،ج4، ط 14، 1416هـ-1996م.
- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر ، ط1 ،1980م.
- حسن محمد ، المدنية والبادية الإفريقية في العهد الحفصي، ج1و2 ، اوربيس للطباعة وقصر السعيد جامعة تونس الأولى 1999م.
- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة للمغرب الأوسط مابين القرنين 6 و9هـ-دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الامل ، تيزي وزو، الجزائر،2011م.
- روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان، ج1و2 ، 1988م.
- السيد كمال أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الاسكندرية للكتاب د. ن .
- السيد محمود ، تاريخ دول المغرب، العربي -ليبيا، تونس، المغرب، الجزائر، موريتانيا-، مؤسسة شباب الجامعة، 2004م.
- الطاهري أحمد، عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، 1988م.
- طه جمال، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الاسلامي (عصري المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية، 2004م.
- العامري نللي سلامة ، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي ، ط1 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ،2001 م.
- عبد الفتاح، رواس قلعة جي، مدخل إلى عالم الجمال الاسلامي ،دار قتيبة ،بيروت، دمشق ،ط1، 1991م.
- فاطمة بلهواري ، التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط، مشورات الزمن ، الرباط، 2010م.
- الفيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني،ج1، موفم للنشر وتوزيع ،الجزائر ،2009م.

قائمة المصادر والمراجع:

- القادري بوتشيش ابراهيم، الأسواق في المغرب والأثر ليس من خلال العصر الوسيط تنظيماتها ومعطياتها الإجتماعية، تراث المغرب الاسلامي، دار الطليعة ، بيروت، 2002م.
- كونل أرنس ، الفن الإسلامي، تر:أحمد موسى، دار صادر، ببيروت، 1966م.
- كيب جوزيف مالك ، مدينة المسلمين في اسبانيا ، تر: محمد تقي الدين الهلالي ،مكتبة المعارف الرباط ، ط2 ، 1985م.
- الماحي علي حامد ، المغرب في العصر السلطان أبي عنان المرفيفي ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء 1986م.
- مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تن: د. الهادي التيمومي، شركة أوريس للطباعة، تونس ، بيت الحكمة، 1999م.
- محمد العروسي المطوي السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1986 ،
- محمد عبد الله الحماد، التخطيط العمراني لمدن الأندلس الاسلامية، من الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث الحضارة والعمران والفنون،ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ،الرياض، 1996م.
- محمد عبد الله عنان ،عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج2 ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1964م.
- مصطفى نشاط ، جوانب من تاريخ مشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط ، منشورات الزمن فضائل تاريخية ،2006

المذكرات:

- أبو شامة عاشور، علاقة الدولة الحفصية مع بلاد المغرب والأندلس، رسالة الدكتوراه، جامعة القاهرة 1991م .
- بعيزيق صالح ، بجاية في العهد الحقيقي، ج1 ، رسالة دكتوراه ، جامعة تونس، 1995م.
- بن الديب عيسى ، التجارة في عصر المرابطين ،رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 1990م.
- عبد الناصر جبار، بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط ، رسالة ماجيستير ، معهد الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة 1978م.

قائمة المصادر والمراجع:

- عفيفي محمود إبراهيم، مظاهر الحضارة في بلاد المغرب، حتى منتصف القرن 6هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، 1980م.
- محمد بن ساعو، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي قارن (7هـ- 10م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الحاج لخضر الونشريسي، باتنة، الجزائر، 2014م.
- محمد عبد الله جبودة مريم ، التجارة في بلاد افريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي ، رسالة دكتوراه ، بكلية الآداب جامعة الزقازيق ، 2008م .
- المسعودي جميلة مبطي ، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص ، رسالة ماجيستير ،كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، 2000م.

المجلات:

- راغب طاهر ، قراءة العملات الحفصين الأولى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد مجلد 22، 1983-1984م.
- عبد الحميد حاجيات ،عنابة في العهد الحفصي ، مجلة الأصالة ، العدد34-35، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، 1975م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

إهداءات

قائمة المختصرات

المقدمة:.....أ

فصل تمهيدي قيام الدولة الحفصية وأصل الحفصيين (الامتداد التاريخي والجغرافي والسياسي لتونس الحفصية).....10

الفصل الأول: العامة ومكوناتها في تونس الحفصية

I. المبحث الأول: العامة ومعاييرها في تونس الحفصية.....18

1. المطلب الأول: تعريف العامة 18

أ. العامة في المعاجم اللغوية : 18

ب. العامة في الخطاب القرآني:.....19

.2 المطلب الثاني :معايير العامة وأصنافها:..... 19

أ. المعايير:..... 19

أ-1 المعيار العلمي: 19

أ-2 معيار السلطة والنفوذ:.....19

أ-3 المعيار الأخلاقي : 20

أ-4 المعيار المادي : 20

ب.أصناف العامة: 21

ب-1 الفلاحون والمزارعون: 21

ب-2 الصناع والحرفيون:.....22

ب-3 التجار: 22

المبحث الثاني: المكونات الإجتماعية للعامة التونسية:.....23

1.المطلب الأول: فئة العرب والبربر:..... 23

أ.القبائل العربية:.....24

أ-1 بنو هلال: 25

أ-2 شعوب بني هلال: 26

ب.فئة البربر:..... 29

فهرس المحتويات:

ب-1 القبائل الصنهاجية: 29
ب-2 قبيلة كتامة: 29
ب-3 قبيلة زناتة: 31
ب-4 القبائل المصمودية: 31
2.المطلب الثاني: مكونات الأجنبية للعامة التونسية:..... 32
أ.أهل الذمة :..... 32
أ-1 اليهود 32
أ-2 النصارى 37
أ-3 العبيد :..... 40

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية للعامة في تونس الحفصية

المبحث الأول: المظاهر الإجتماعية 43
1.المطلب الأول: التغذية واللباس والمسكن:..... 43
أ.التغذية 43
ب.اللباس: 44
ج.المسكن 46
2.المطلب الثاني: المرأة العامية في تونس الحفصية: 47
أ.الزواج 48
ب.الطلاق 50
II.المبحث الثاني: الآفات الإجتماعية وردود فعل العامة 52
1.المطلب الأول: الجوائح الطبيعية 52
2.المطلب الثاني: ردود فعل العامة أثناء المجاعات: 56
أ.الحركات الشعبية : 56
أ-1 حركة ابن أبي عمارة : 58
أ-2 مساندة العامة لحركة ابن أبي عمارة:..... 60

الفصل الثالث: دور المنشآت في النشاط الثقافي والاجتماعي للعامة

I.المبحث الأول: النشاط الثقافي للعامة حفصية في تونس 64
1.المطلب الأول: الزوايا والمدارس 64
أ.الزوايا الموجودة داخل المجال الحضري:..... 64

فهرس المحتويات:

ب.العامة وازدياد البؤساء بالزوايا: 65
ج.المدارس..... 66
2.المطلب الثاني: العادات والتقاليد للعامة التونسية..... 67
أ.السكن وما يتبعه من نشاط إجتماعي عمراني: 69
II.المبحث الثاني: المنشآت الاقتصادية والثقافية..... 70
1.المطلب الأول: الأسواق والمعاملات التجارية..... 70
أ.الحسبة 72
ب.التسعير: 73
ج.الإحتكار: 74
د.الضرائب: 75
هـ.التعامل التجاري: 76
و.المقايضة 78
ز.الصكوك والسفاتج والحوالات:..... 79
ح.الموازين والمكاييل: 80
ط.الشركات التجارية : 81
2.المطلب الثاني: المنشآت في تونس الحفصية 81
أ.الفنادق 81
أ.الحمامات 83
ب.القيساريات: 85
ج.الدكاكين والحوانيت: 86
خاتمة..... 91
ملاحق 94
قائمة المصادر والمراجع..... 100
فهرس المحتويات..... 106

الملخص :

تناولت هذه الدراسة موضوع بحث حول العامة في تونس الحفصية (ق7هـ_ق10هـ) ، حيث بدأت دراسة هذا الموضوع أولا عن كيفية تأسيس الدولة الحفصية وإمتدادها التاريخي والجغرافي في تونس ، حيث تطرقت أيضا إلى التعريف بالعامة وذكر مكوناتها الإجتماعية ، وكيف تم تصنيفها في المجتمع الحفصي ، كما حاولت هذه الدراسة تقديم لمحة وتفصيل عن الحياة اليومية التي كانت تعيشها هذه الطبقة ، وما مدى التأثير الذي قامت به في العديد من الجوانب الدينية والإجتماعية والإقتصادية ، في ظل التهميش والنسيان الذي لحق بهم ، رغم دورهم الفعال في المجتمع .

Summary:

This studydealtwith the subject of research on the general in HafsiaTunisia (S7H/B10H), where i began to studythis topic first on how the Hafsian state wasfounded and itshistorical and geographical extension in Tunisia, whereitalsotouched on the definition of the general and mentionedits social components, and how itwasclassified in Hafsi society, as thisstudytried to provide a glimpse and detail of the daily life of this class, and the extent of the influence it has made in many aspects of religious And social and economic, in light of the marginalization and oblivionthat has been inflicted on them, despitetheir active role in society.